www.nidaulhind.com

عصر شوقي وحياته

(الحلقة الأولى)

بقلم :
الأستاذ محمد نعمة الله
محمد إدريس الندوي

◆ المبحث الأول – عصر شوقي : حالته السياسية والفكرية والاجتماعية :

الأدب ليس بمعزل من الحياة (١) بل غايته الإمتاع والإفادة والتحريض على بناء مجتمع أفضل (٢) ولذلك عرّفه الغربيون بأنه "نقد حياة" (٣) إذن يرتبط الأدب بالحياة ارتباطاً قوياً ، ويتأثر تأثيراً قوياً أو ضعيفاً بكل ما يملؤها ، ويشكّل مادتها كما يقوم بدور التأثير فيها تأثيراً غير قليل (٤) وإذا كان هذا شأن الأدب فلابد من إبراز العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية ؛ لدراسة أيّ موضوع أدبي في أيّ عصر من العصور .

وما دام شوقي عاش في مجتمع له صفات وأحداث وتيارات واتجاهات في السياسة والاجتماع ، فلابد أن يرتبط عمله الأدبي بهذه العناصر كلها ؛ إذن علينا أن ندرس بإيجاز عصره من النواحي المختلفة :

◆ الحالة السياسية :

قد مرّت هذه الفترة التي عاش فيها شوقي - الربع الأخير من

---

(١) انظر : الأدب وفنونه – د.عز الدين إسماعيل : ص/١٧ .
(٢) انظر : الإسلامية والمذاهب الأدبية – د.نجيب الكيلاني : ص/١٤ .
(٣) نفس المصدر : ص/٩ .
(٤) انظر: الحوار الأدبي حول الشعر- د.محمد أبو الأنوار: ص/١٧ (مكتبة الشباب) .

www.nidaulhind.com

القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين - بأحداث وحركات سياسية كبرى ، منها ما يتعلق بالشرق كله ، ومنها ما يختص بمصر ، وكان لها أثر كبير في حياة شوقي وشعره ، فتفتّحت عيناه على الدنيا حينما كانت الدولة العثمانية الهرمة تنذر بقرب تقلّها ، وأصبحت تركيا مقر الخلافة مطمع الدول الأوربية وخاصة روسيا . فلم تكن تمرّ حقبة من الزمن من غير أن تنشب بينهما حرب تنقص من ممتلكات الدولة العثمانية وتزيدها ضعفاً على ضعف (٥) .

ونهضت روح القومية التي ظهرت في أوائل سنة ١٨٨١م في مصر ، في شكل ثورة عامة بقيادة أحمد عرابي ، واستمرت إلى نهاية ١٨٨٢م (٦) ؟ وهذه الثورة كانت استمراراً للحركة الوطنية التي ظهرت في عهد إسماعيل ؛ للتخلص من مساوئ النظلم ، وإنقاذ البلاد من تدخّل الدول الأوربية في شئونها وخاصة في نظامها الاقتصادي ، وتنفيذ النظام الدستوري ، فبدأت ثورة عرابي بمطالبة إنصاف الضباط المصريين الذين كانوا يعانون الامتيازات ، والاضطهاد من الرؤسه الترك والشراكسة ، ثم تطورت إلى حركة عامة تستهدف احتماء البلاد من النفوذ الأجنبي والحكم الاستبدادي ، وتقرير مبادئ العدل والحرية والنظام الدستوري ، و وضع حد على احتكار الأجانب لثروة البلاد وتدخلهم في شئونها المالية (٧) وانتهت هذه

(٥) انظر شوقي : شعره الإسلامي - دماهر حسن فهمي : ص/٣٥ .

(٦) انظر : الثورة العرابية - لعبد الرحمن الرافعي : ص/٩ (مؤسسة دار الشعب - القاهرة - ط/٣ ، سنة ١٩٦٦م .

(٧) انظر : وطنية شوقي - للدكتور أحمد الحوفي : ص/٥٩-٧٦ (دار النهضة - مصر، ط/٣) ، والأدب المعاصر في مصر لشوقي ضيف : ص/١٦ (دار المعارف - >>>

www.nidaulhind.com

الثورة باحتلال إنجلترا للبلاد .

وخطورة الثورة العرابية تكمن أنها هي نقطة البداية في اهتمام الناس بالمسائل السياسية ، فقد كثر فيها حديثهم عن الظلم والظالمين وعن حقهم في محاسبة السلطان وعن الدعوة إلى النظام النيابي (٨) كما كانت طلائع النهضة الشعرية الحقيقة مقرونة بظهور هذه الثورة (٩) .

وفي سنة ١٩٠٨م أعلن السلطان عبد الحميد الدستور الذي سوّى بين الشعوب العثمانية على اختلاف أجناسها وأديانها ، وانتخب من الأقاليم العربية نواباً يمثلون العرب بالآستانة ، واستقبله الناس في البلاد العربية بسرور بالغ وتقدير عظيم يدل على ذلك تدبيجهم المقالات والخطب والقصائد بالترحيب به ، وكان الشعراء أوفر حظاً في الإشادة بذكره ، والثناء بفضائله وخيراته (١٠) .

ثمّ حدث أن سقط عبد الحميد في سنة ١٩٠٩م على يد الاتحاديين ، عندما الغي الدستور - الذي أصدره كارها بمحاولة هؤلاء الاتحاديين - بعد حملة صحفية شنّت برعمائهم وبيّنت فساد دينهم ، فلم يلبثوا إلا أن ثاروا ضده واشتبكوا مع رجاله في معركة كبيرة

>>> مصر ، ط/٦) ، وراجع لتفصيل أسباب الثورة وحوادثها : الثورة العرابية : ص/٧٧ وما بعدها .

(٨) انظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - للدكتور محمد محمد حسين : ج/١ ، ص/١٢ (دار النهضة بيروت ، ط/٣ ، سنة ١٩٧٢م) .

(٩) انظر : شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي - للعقاد : ص/٨ (كلية النهضة المصرية ، ط/٢ ، سنة ١٩٦٥م) .

(١٠) انظر : الاتجاهات الوطنية : ص/٤٣-٤٥ ، و وطنية شوقي : ص/٧٧-٨٢ .

www.nidaulhind.com

انتهت بالتسليم ، وعند ذاك علت أصوات الشعراء في مصر بين راث عليه وشامت به (١١) .

ثمّ قامت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤م ، فأعلنت إنجلترا حمايتها على مصر وأعلنت معها زوال سيادة تركيا عليها ثمّ أعلنت في اليوم التالي خلع الخديوي عباس وتولية الأمير حسين عرش مصر مع منحه لقب (سلطان) استكمالاً لمظاهر انفصال مصر عن تركيا (١٢) ونفي شوقي إلى أسبانيا .

• وبمجرد أن انتهت الحرب في سنة ١٩١٩م ، انفجر تذمر الشعب من الاحتلال الأجنبي ونكثه بوعوده المتكررة بالجلاء ، ثمّ إعلان الحماية الباطلة على البلاد ، وإلى جانب استعباد الشعب سياسياً أفضى طغيانه إلى استعباده مالياً واقتصادياً ، فانتهى هذا الانفجار إلى ثورة عارمة ضد الاحتلال زعزعت أركان جنوده المدجّجة بالسلاح . وإن لم تنجح الثورة في إجلاء الإنجليز عن البلاد ، ولكن مما لا شك فيه أنها حققت بعض ما كان مأمولاً ، إلى جانب ما ازداد الشعب قوة وثقة ، واشتعل وطنية واعتزازاً بمصر (١٣) ، وقد لهج بها شوقي وإن كان في منفاه .

على أن هناك أمراً لابد من التنبيه إليه ، وهو كون العامل الديني عنصراً أساسياً وسبباً مباشراً من أسباب هذه الثورة . فالذين يهملون هذا العامل يخطئون خطأً كبيراً ، إذ الأحداث المتعددة خلال الحرب وفي إبان الثورة ، تدل على ذلك دلالة واضحة ، ومنها

(١١) انظر : الاتجاهات الوطنية : ص/٤٦ .

(١٢) انظر : ثورة/١٩١٩ : ص/٧-١٤ - لعبد الرحمن الرافعي (دار الشعب القاهرة).

(١٣) انظر : وطنية شوقي : ص/٩٠-٩٥ ، و ثورة/١٩١٩ : ج/١ ، ص/٧-٨ .

www.nidaulhind.com

محاولتان لاغتيال الملك حسين استيله على فصل تركيا عن مصر إذا كان الرأي العلم لا زال قائماً على الولاية للخلافة (١٤) .

ثمّ كان الحدث الأكبر الذي لم يسبق له نظير في تاريخ الإسلام ، فبينما كان الناس في مصر مشغولين بالدفاع والتسويغ لما قام به مصطفى كمال من فصل الدين عن الدولة ، ويحسنون به الظن على رغم تصرفاته المريبة ؛ إذ يفاجئهم بل العالم كله بإزالة قناع النفاق عن وجهه ، فيعلن بإلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م (١٥) ، وأصبح المسلمون أول مرة في التاريخ الإسلامي بعد وفاة النبي الكريم ﷺ بلا خلافة ، وإن شبّهوا الخلافة في أواخر أيامها بالرجل المريض لضعفها ، ولكنها مع ضعفها واستكانتها كانت رمزاً للوحدة الإسلامية ، وسداً منيعاً أمام الأطماع اليهودية والصليبية ، حتى الرجل المريض كانت أوربا تخشاه ، يقول واحد من المبشّرين : "إن أوربا كانت تخشى الرجل المريض ؛ وهو مريض .. لأن وراءه ثلاثمائة مليون من المسلمين مستعدون للجهاد بإشارة من يده" (١٦) ؛ ولذلك عملوا بغية الإجهاض عليه بواسطة دعيّهم مصطفى كمال حتى يتمكنوا من تحقيق أمانيهم الاستعمارية في الدول الإسلامية ، وإقامة الدولة اليهودية في قلبها .

◆ ٢- الحالة الفكرية :

النهضة العلمية التي بدأها محمد علي قد بلغت أوجها في عهد إسماعيل وخطت خطوات واسعة في النهضة الفكرية والأدبية

(١٤) انظر : الاتجاهات الوطنية : ج/٢ ، ص/١٠-٢٢،١١ .

(١٥) نفس المصدر : ج/٢ ، ص/٣٧ .

(١٦) مجلة الجامعة الإسلامية - مقال محمد قطب ، العدد/٤٩ ، سنة ١٤٠١هـ .

www.nidaulhind.com

والاجتماعية ، بفضل المدارس والجامعات التي أسّست ، وانتشرت في عهده البعثات التي أكثر في إيفادها إلى الخارج ، فأخرجت طبقة مثقفة نالت حظاً موفوراً من العلوم ، وقامت هذه النهضة بتفتيح الأذهان وإنارة العقول والأفكار والسموّ بها إلى التماس الرقى والتقدم والتطلع إلى معاني الحرية والمساواة والحقوق الإنسانية .

واقترنت النهضة العلمية بالنهضة الأدبية ؛ إذ أخذ بزمامها الشعراء والأدباء كما كان من تأثيرها تقدم البلاد في الانطباع بطابع الحضارة الأوربية ، فأخذ كل شئ يصطبغ بصبغتها ، ويظهر أثرها في كل مجال من مجالات العلم والأدب والسياسة والاجتماع (١٧) .

وكان في التحوّل الفكري والاجتماعي دور رائع للسيد جمال الدين الأفغاني ؛ إذ كان "يرمى إلى إصلاح العقول والنفوس - أولاً - ثمّ إصلاح الحكومة - ثانياً - وربط ذلك بالدين" (١٨) ، وقد وصف تلميذه محمد عبده حال مصر قبل مجيئه : "إن أهالي مصر قبل سنة ١٢٩٣هـ كانوا يرون شئونهم العامة بل والخاصة ملكاً لحاكمهم الأعلى ، ومن يستنيبه عنه في تدبير أمورهم ، يتصرّف فيها حسب إرادته ، ويعتقدون أن سعادتهم وشقاءهم موكولان إلى أمانته وعدله ، أو خيانته وظلمه .. ومع كثرة من ذهب منهم إلى أوربا وتعلم فيها .. لم يشعر الأهالي بشئ من ثمرات تلك الأسفار ولا فوائد تلك المعارف .." (١٩) ، فخرجت على يده طبقة ارتوت من ينابيع العلم والمعرفة

---

(١٧) انظر : الثورة العرابية : ص/٨٦ ، والأدب العربي المعاصر في مصر : ص/٢٤-٢٥ .

(١٨) زعماء الإصلاح في العصر الحديث - لأحمد أمين : ص/٥٩ (دار الكتاب العربي - بيروت) .

(١٩) نفس المصدر : ص/٦٧ .

www.nidaulhind.com

وازدهر فيها الكتابة والخطابة ، وبث في تلاميذه وقاصديه الدعوة إلى تطهير العقول من الخرافات ، وفهم الدين على حقيقته ، كما أحيى فيهم روح العزة والشهامة ، والتطلع إلى الحرية والاستقلال ، فلم يلبثوا أن أصبحوا قادة في شتى ميادين الإصلاح الفكري والاجتماعي والسياسي ، ومن أبرزهم محمد عبده ، وسعد زغلول ، ومحمود سامي البارودي (٢٠) .

وكانت الصحافة من أقوى العوامل المساعدة على نشاط الحياة الفكرية والثقافية والوطنية ، إذ ازدهرت ازدهاراً رهيباً في هذه الآونة من القرن التاسع عشر ، فما كان عدد الصحف عندما أتى كر وفر يزيد على بضع وعشرين صحيفة في سنة ١٨٨٣م : "فإنه لم يأت ١٩٠٣م حتى كان بالقطر ١٧٦/صحيفة ، خصّت القاهرة منها بـ١٣٣ ما بين جريدة ومجلة" (٢١) ، فما كان أي حزب أو حركة إلا لها جريدة تنطق باسمها ، وتنشر أفكارها ، وتشترك في الدفاع عن مصالح الشعب والانتقاد على الاستبداد ومساوئ الحكم ، ولم تقم أية ثورة وطنية إلا كانت الجرائد طليعة لتمهيد سبيلها وإذكاء نارها ، فمثلاً كان أكبر ناصري الثورة العرابية الجرائد ، مثل : (الطائف) و (الحجاز) و (المقيد) ، ومن أبرز الجرائد الوطنية : "الأهرام" و "اللواء" و "المؤيد" و "الأستاذ" ، ومن المجلات الإسلامية التي تهتم بالدعوة الإسلامية مجلة : "المنار" و "الإسلام" ، كما كانت الطبقة الغالبة

(٢٠) انظر : زعماء الإصلاح : ص/٦٩-٧٠-٧١ ، و وطنية شوقي : ص/٤٥-٤٦-٤٧ ، الثورة العرابية : ص/٧٦ ، ٨٧ .

(٢١) انظر : في الأدب الحديث عمر الدسوقي : ج/٢ ، ص/٦٩ (مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة ، ط/٧) .

www.nidaulhind.com

للمؤيد واللواء والأستاذ مع مناصرة المواطنين الدفاع عن الإسلام ، الدعوة إلى اتحاد المسلمين جميعاً ، في ظلال الخلافة العثمانية (٢٢) .

وقد ساعدت هذه النهضة العلمية والفكرية الدافعة للأمة إلى الحرية والتبرّم بنظام الحكم ومساوئه ، والسخط على تدخل الدول في شئون البلاد على ظهور حركات ذات اتجاهات فكرية متباينة . ونظرات سياسية مختلفة ، منها الجامعة الإسلامية والجامعة المصرية والجامعة العربية ، ولكن الجدير بالذكر أن النزعة الإسلامية كانت غالبة على كل الوجهات والنزعات في مصر إلى أوائل القرن العشرين ، ولذلك كان المصريون معترفين بسلطة الخليفة التركي (٢٣).

ويدلّ على ذلك أن عرابياً عندما قاد الثورة على مساوئ نظام الحكم في مصر لم يكن يرى أن يخلع من عنقه ربطة طاعة الخليفة (٢٤). وحينما تورطت تركيا في الحرب مع روسيا تدفّقت إليها الأموال والمساعدات والمثون من كل أقطار العالم الإسلامي ، وانبث دعاتها في كل مكان ينادون الناس للدفاع عن الإسلام حتى بلغت أصواتهم إلى الهند والصين (٢٥) .

نداء الهند

اتّجه إلى فكرة الجامعة الإسلامية السلطان عبد الحميد حفاظاً على كيان الإمبراطورية العثمانية المتداعية وحرصاً على تخليص أمم الشرق الإسلامي من التسلط الغربي ، وكان جمال الدين الأفغاني روح هذه الحركة ، وقد أنشأ هو وتلميذه محمد عبده جريدة : "العروة

---

(٢٢) انظر : وطنية شوقي : ص/٥٠-٥٦ ، ومن أدبنا المعاصر : ص/١٧-١٢-١٣ ، والحوار الأدبي : ص/٥٣-٥٤ ، والثورة العرابية : ص/٨٦ .

(٢٣-٢٤) انظر : الاتجاهات الوطنية : ج/١ ، ص/١٧ .

(٢٥) انظر : الاتجاهات الوطنية : ج/١ ، ص/١٩ .

www.nidaulhind.com

الوثقى" في باريس أثناء نفيها، وكانت مقالاتها تشتمل على حث المسلمين لاتحاد كلمتهم، ورفع نير الاحتلال الأجنبي من العالم الإسلامي كله (٣٦)، ولا جنسية للمسلمين إلا دينهم، فجاء في أحد مقالاتها: "وازع المسلمين في الحقيقة شريعتهم المقدسة الإلهية التي لا تميّز بين جنس وجنس، واجتماع أراء الأمة، وليس لأحد أدنى امتياز عنهم إلا بكونه أحرصهم على الشريعة، والدفاع عنها" (٣٧).

وهذه النزعة الإسلامية كانت غالبة في كتابات كتاب ذلك العصر وقادته أمثال مصطفى كامل، وعبد الله النديم، ومحمد فريد، كما لم يكن أي شاعر معاصر إلا ويثني على الخليفة، ويشيد بحرصه على الدين وإعلاء كلمته، ويدعو المسلمين إلى الاتحاد في ظل الخلافة، وكان شوقي في مقدمتهم (٢٨).

وبجانب هذا الصوت القوي الداعي للوحدة باسم الدين، نشأت دعوة القومية المصرية صدى للفكرة القومية الأوربية في القرن التاسع عشر، قبيل الثورة العرابية، نتيجة تسلط العنصر التركي (٢٩)، وكانت تستهدف إنشاء رابطة عاطفية بين المصري و وطنه، والتفاني في حبه، والعمل على ترقيته، وأداء ما يتحتّم عليه من واجب وطني، ثم المطالبة بحقه فيه من الحرية والاستقلال، ويتضح ذلك من مقال

(٣٦) انظر: نفس المصدر: ج/٧، ص/١٩-٢٠، وشوقي: شعره الإسلامي: ص/٤٧-٤٢.

(٣٧) تاريخ الأستاذ الإمام: ج/٢، ص/٢٢٣ نقلاً عن الاتجاهات الوطنية: ج/١، ص/٢٠.

(٢٨) انظر: الاتجاهات الوطنية: ج/٧، ص/٢٧-٦٠.

(٢٩) نفس المصدر: ج/١، ص/٦٧، ٧٥.

www.nidaulhind.com

محمد عبده نشرته "الوقائع المصرية" في ٢٨/نوفمبر سنة ١٨٨١م، تحدث فيه عن الوطن؛ ثم قال: "فإذا تقرر ذلك مما قلناه، وجب على المصري حب الوطن من كل هذه الوجوه، فهو سكنه الذي يأكل فيه هنيئاً، ويشرب فيه مريئاً، ويبيت في الأهل آمناً، وهو مقامه الذي ينسب إليه، ولا يجد في النسبة عاراً، ولا يخاف تعييراً وهو الآن موضع حقوقه و واجباته التي حصلت له بما أوضحناه من دخوله في دور الحياة السياسية" (٣٠)، وتمثلت هذه الحركة التي وجدت في الثورة العرابية مجالاً فسيحاً بحكم كونها ثورة وطنية في جمعية "مصر الفتاة" السرية (٣١)، وفي بعض الصحف الثائرة التي تنقد السياسة العامة للبلاد، وتناصر الحركة الوطنية، وفي الحزب الوطني وصاحبه مصطفى كامل الذي كان روح هذه الحركة؛ ولكن أصحابها لم يخطر ببالهم أبداً أن يحلّوها مكان الجامعة الإسلامية، أو الرابطة الدينية، فمصطفى كامل يرى "الدين والوطنية توأمان متلازمان" (٣٢)، ويتجلى صداه في الشعراء المعاصرين له إلى أن تطورت الفكرة في أوائل القرن العشرين على أيدي الطبقة المثقفة بثقافة أوربا، وبدأت تهاجم وتحارب فكرة الجامعة الإسلامية، وتدعو لامتصار اهتمام المصريين على مصالح مصر، وكانت تمثل هذا الفريق جريدتا: "المقطم؛ والجريدة الناطقة بلسان حزب الأمة" إلا أن المقطم كانت صريحة في تأييد الاحتلال (٣٣) وتطورت هذه العصبية المصرية بعد

(٣٠) الاتجاهات الوطنية: ج/٧، ص/٧٧.

(٣١) انظر: زعمله الإصلاح: ص/٢١٢.

(٣٢) مصطفى كامل: ص/٩٤ نقلاً عن الاتجاهات الوطنية: ج/٧، ص/٨٢.

(٣٣) انظر: الاتجاهات الوطنية: ج/٧، ص/٩٠ وما بعدها.

www.nidaulhind.com

الحرب العالمية الأولى إلى عصبية فرعونية عند خفوت صوت الوطنية الدينية ، وتحولت إلى حركة قومية خالصة ، ثمّ الانحراف على الانطواء على نفسها (٣٤) .

وبدأ نزوع العرب إلى الاتجاه القومي يستعلن منذ أواخر القرن التاسع عشر تأثراً بالفكرة القومية الأوربية التي سادت أوربا في ذلك الوقت ، وكان أهم عواملها غطرسة الترك الحاكمين وعنجهيتهم التي ظهرت في بعض معاملتهم ، فأثار ذلك في العرب النقمة والنخوة العربية ، وأخذوا يطالبون بحقوقهم ، وانشأوا جمعيات عربية سرية وجهرية (٣٥) . ولمّا سيطر على الحكم في تركيا ١٩٠٩م بعد سقوط عبد الحميد الاتحاديون ، اتجهوا إلى تعزيز قوميتهم الطورانية ، ومقاومة العناصر الأخرى ، والنيل من العرب ، وسلخهم من لغتهم وطابعهم الحضاري ، فهاجت هذه السياسة الطائشة حمية العرب وانبرت الصحف العربية للتهجم بمثل ما قامت به الصحف التركية ، واندفع العرب إلى تأليف جمعيات جديدة في بلاد مختلفة للدفاع عن حقوقهم ، والتخلص من الترك حينما حانت الفرصة ، وتزعّم هذه الحركة الشريف حسين الذي كان يطمع في الخلافة ، فكان يفهم المسألة العربية فهماً إسلامياً ؛ فتنكّب الإنجليز عن محالفته إلى ابنه فيصل الذي كان يفهمها فهماً قومياً إلى أن حققوا كل غايتهم ، وقسّموا البلاد العربية بينهم وبين فرنسا واليهود ، وترددت أصداء أحداث

(٣٤) انظر : نفس المصدر : ج/١ ، ص/١٤٢ ، ١٤٥ .

(٣٥) انظر : نفس المصدر : ج/١ ، ص/٩٩-١٠٠ ، و وطنية شوقي : ص/٢٩٦ ، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - للشيخ الندوي : ج/١٧ ، ص/٨٠ (دار القلم - الكويت) : ص/٢١٧-٢١٩ .

www.nidaulhind.com

الحركة في الشعر ، ثمّ تمركزت الحركة بعد الحرب في مصر (٣٦) .

٣- الحالة الاجتماعية والخلقية :

أما الحالة الاجتماعية والخلقية في مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، فقد كانت متردية وبائسة ، وقد مرّ بنا لمحة عن ما كان عليه مصر قبل مجيء جمال الدين الأفغاني من فقر وجهل واستبداد الحاكم ، وخضوع الشعب ، ويؤكده ما يصور لنا عبد الله نديم - أحد من المصلحين الكبار وزعماء الوطنية (٣٧) - في "سلافة النديم" ما وصلت إليه مصر من سوء حال ، وتفش للجهل والفتور والبلادة والهوان ، وازدياد النفوذ الأجنبي بأسلوب قصصي لاذع كحديثه عن القروي الجاهل والمرابي الطامع أو الداء الإفرنجي (٣٨) . وكما قلنا : إن الاحتكاك بالغرب أصبح قوياً ، واهتم الغرب بالغزو الثقافي في الشرق بإنشاء المدارس التي تبذر بذور التعاليم الغربية من دين وثقافة لا تمت إليه بصلة ، فكان له آثار بعيدة المدى في الحياة المصرية (٣٩) .

وبرز المصلحون لإصلاح المجتمع بعد ما احتدم النقاش حول آفاق الصحف ، وانقسم هؤلآء إلى طائفتين تغاير إحداهما الأخرى جد المغايرة ؛ إذ دعت طائفة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية ، وهم كانوا من الذين بهرتهم حضارة الغرب حين توافدوا إليه في

---

(٣٦) راجع : الاتجاهات الوطنية : ج/٢ ، ص/١٠٠-١٧٩ .

(٣٧) انظر : زعماء الإصلاح : ص/٢٠٢ . ٢٤٨ .

(٣٨) انظر : الاتجاهات الوطنية : ج/١ ، ص/٢٤٥ ، ٢٤٨ .

(٣٩) انظر : فيض الخاطر - لأحمد أمين : ج/٥ ، ص/١٩٢ (مكتبة الفهمية المصرية . سنة ١٩٤٤م) .

www.nidaulhind.com

البعثات ، أو ارضعوا بلبانها في مدارس الغرب المنتشرة في الشرق فدعوا إلى فصل الدين عن السلطة ، وتحرير المرآة ومشاركتها في الأعمال .. إلى غير ذلك ، وطائفة أخرى من المصلحين كانت تنادى إلى التمسك بالدين ، والاحتفاظ على الحضارة الإسلامية ، وأفزعّهم فتنة الشباب المسلمين بالحضارة الغربية بحيث أخذوا يرون الدين سبّة ومعرة ، فاحتاجوا أن يدعوهم إلى التمسك بالإسلام متخذين الأمثال بزعمه الغرب الذين يحترمون دينهم ، واتجه معظم الشعراء يغذّون هذه الفكرة الإسلامية بما كانوا يذكّرون الشباب بمجد الإسلام القديم ، وأن المسلمين لم يتخلّفوا إلا حين تخلّوا عما أمرهم به دينهم ، وغفلوا عن مسئولياتهم ، وكان شوقي من أبرز هؤلآء الشعراء الذين غذوا هذا الاتجاه (٤٠) ، كما سنراه في الفصل القادم .

وكان لهذا التباين أثر كبير في نشوء التناقض في كل شئون الحياة المصرية فكان في القصر مثلاً الخديوي عباس يحتفل بشهر رمضان احتفالاً عظيماً ، ومع ذلك يقيم حفلاً راقصاً في قصر عابدين كل علم (٤١) ، وما زالت المعركة محتدمة بين الفريقين في أوائل القرن العشرين ، حتى بلغت بعد الحرب ذروتها ؛ إذ حدث لها ظروف كثيرة يتصل معظمها بالحرب ونتائجها ، فيقول محمد محمد حسين عن الجيوش : "فقد غمر مصر في أثنائها طوفان من مختلف الأجناس فاضت بهم طرقاتها وأزقتها يهيمون فيها نهاراً ، ويعسّون ليلاً وراء

(٤٠) انظر : الاتجاهات الوطنية : ج/٧ ، ص/٢٥٥ ، ٣٦٥ .

(٤١) انظر : نفس المصدر : ج/٧ ، ص/٢٥٥-٢٥٦ ، والحوار الأدبي : ص/٥٨ .

www.nidaulhind.com

دور الخمر والقمار ودور البغاء المرخصة وغير المرخصة" (٤٢) .
ويصف المنفلوطي هذه الدور فيقول : "رأيت من كنت أحسبه أوفر الناس عقلاً وأذكاهم قلباً ، ومن كنت أراه فأغضى بين يديه إجلالاً وإكباراً ، واقعاً في حبالة بغي تقيمه تقعده ..." (٤٣) .

فقد بلغ الفساد والتحلل في الأخلاق إلى أدنى مستواه ، وعمّ البلاد كله وخاصة مدينة القاهرة ، وساعد على ذلك أن خفت صوت الأحزاب الإسلامية بعد هزيمة دولة الخلافة ، فوجدت الدعوة إلى الحضارة الغربية صدى واسعاً، وخاصة عند الشباب فهاموا بها، وغرقوا في التقليد الغربي ، "فقد وقر في نفوسهم أن كل ما يفعله الأوربي حسن ، وأن كل ما ورثنا من عادات هو من بقايا الهمجية" (٤٤) .

وكان من أبرز دعاة الجدة تطرفاً ، طه حسين وسلامه موسى ، وأبرز المحافظين مصطفى صادق الرافعي .

(للبحث صلة)

***

(٤٢) الاتجاهات الوطنية : ج/٢ ، ص/١٩١ .

(٤٣) النظرات - للمنفلوطي : ج/٣ ، ص/١٨٠ (دار الثقافة - بيروت - لبنان) .

(٤٤) الاتجاهات الوطنية : ج/٢ ، ص/١٩٧ .

www.nidaulhind.com

أحمد شوقي وحياته

(الحلقة الثانية)

بقلم :
الأستاذ محمد نعمة الله
محمد إدريس الندوي

◆ المبحث الثاني – حياة شوقي : مولده ونشأته ، وشاعريته :

ولد في القاهرة بمصر سنة ١٨٦٨م ، وحمل في عروقه مزيجاً طريفاً من دماء عربية ، تركية ، يونانية ، كردية ، شركسية ، تحت حكم الروابط التي جمعت بين جدّتين وجدّين ؛ وأبيه وأمه ، وقد اتفق علماء النفس على أن العبقرية تغدو أكثر قابلية للتفجّر والإبداع كلّما تمازجت دماء العناصر المتباعدة ، وتفاعلت فيما بينها ، فليس من المستغرب أيضاً أن تتفجر عبقرية شوقي الشعرية ؛ إذ تآزرت فيه دماء شعوب عرفت بالإبداع ، والعطاء الفكري السامي ، والشعر ، والفلسفة ، ولا سيما العرب واليونان (٨٨) .

وجدّته اليونانية التي كانت من معتوقات إبراهيم باشا (٨٩)

---

(٨٨) انظر : أحمد شوقي أمير الشعراء - لفوزي عطوي : ص/١٢ (دار صعب ، بيروت ، ط/٣-١٩٧٨م) ، وشوقي شاعر العصر الحديث - للدكتور شوقي ضيف : ص/٨-٩ (دار المعارف مصر) ، وحافظ وشوقي - لطه حسين : ص/١٩٩ (مكتبة الخانجي مصر -١٩٣٣م) ، ومقال الدكتور محمد أحمد العرب في مجلة : "الفيصل" - فبراير١٩٨٣م .

(٨٩) انظر: أحمد شوقي أمير الشعراء : ص/١٢ ، شوقي: شاعر العصر الحديث : ص/١٠ .

www.nidaulhind.com

قامت على تربيته الأولى ؛ إذ كانت تحبه وتؤثره ، فعندما كان شوقي في الثالثة من عمره ، دخلت به على الخديوي إسماعيل عندما تولى حكم مصر ، وكان شوقي لا ينزل البصر من السمك من اختلال في أعصابه ، فطلب الخديوي بدرة من الذهب ، ثم نثرها على البساط عند قدميه ، فوقع على الذهب يشتغل ويلعب به ، فقال لجدته : "اصنعي معه مثل ما فعلت ، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض" ، فقالت : "هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي" ، فقال : "جئني به إليّ متى شئت ، إني آخر من ينثر الذهب في مصر" (٩٠) ، ولما كانت جدته من معتوقات إبراهيم باشا ، كانت تعيش على باب إسماعيل منعّمة موسرة ، فعاش معه الطفل حيث الترف والنعيم .

وحينما قارب شوقي الرابعة من عمره ، ألحقه ذووه بمكتب الشيخ صالح بالقاهرة ، ثم انتقل إلى المبتديان ، فالتجهيزية ، وراح يرتقى مدارج العلم بنجاح وتوفيق حتى أتم تعليم الثانوي في سنة ١٨٨٥م ، وقد بلغ من العمر خمسة عشر عاماً ، وكانت قد تيقظت فيه موهبته الشعرية ، فبدأ يقرض بعض الأبيات مثل أرجوزته في المعارف الجغرافية :

إفريقيا قسم من الوجود
في شكله أشبه بالعنقود (٩١)

وكانت هذه الفترة فرصة سانحة أتاحت له الاختلاط بأبناء الشعب ، ولكن كان اختلاطاً محدوداً ؛ إذ كانت بيئته بيئة ارستقراطية.

---

(٩٠) مقدمة أحمد شوقي لديوانه ، الجزء الأول ، طبعة١٨٩٧م ، نقلاً عن شوقي : شاعر العصر الحديث : ص/١٠ .

(٩١) انظر : شوقي - شاعر العصر الحديث : ص/١١ .

www.nidaulhind.com

حتى إذا بلغ السادسة من عمره ألحقه أبوه بكلية الحقوق ليدرس القانون ، فلما أنشئ فيها قسم الترجمة انقلب إليه ، ولم يكن شوقي في الكلية كزملائه الطلبة في طبيعته وسكونه وتصرفاته ، بل كان "فتى بعيون متألقة تحقيقاً، ولكنها متنقلة كثيراً ، فإذا نظر إلى الأرض دقيقة واحدة ، فللسمك منه دقائق متمادية ، وإذا تلفت صوب اليمين ، فما ذاك إلا لكي يرمي ببصره نحو الشمال ، وهو مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة هادئ ، ساكن ، وادع ، كأنما يتحدث بنفسه إلى نفسه ، أو يتلاغى مع عالم من الأرواح ، وما كان يلابس الطلبة فيما يأخذون فيه من اللهو والمزاح" (٩٢) ، وكأنما شغلته ربّة الشعر عن رفقائه و ما هم فيه من لهو و لعب ، و مكث ينتظر ما توحي به إليه ، فأخذ نبعه الشعري يتدفق ويفيض ، وصادف ذلك أن بهرته شاعرية الشيخ محمد البسيوني الذي كان أستاذه في اللغة العربية ، فتتلمذ عليه ، وكان الشيخ ينشئ القصائد في مدح الخديوي توفيق ، كلما جله عيد أو حلّ موسم ، فلم يلبث التلميذ أن جرى مجرى أستاذه ، في إبداع القصائد المدحية للخديوي .

وقد تخرج من قسم الترجمه حاملاً شهادته النهائية فعين في قسم الترجمة بقصر الخديو ، وظل شاعراً للقصر بل للخديو توفيق يتغنى بمدائحه ، ويتكلم بلسانه ، ثم رأى الخديوي أن يبعثه إلى فرنسا ليكمل ثقافته في الحقوق ، بالإضافة إلى دراسة الآداب الفرنسية ، ويقول صالح جودت مشيداً بما فعله الخديوي : "ولم يسجل التاريخ للخديوي توفيق شيئاً من الإحسان في تاريخ هذا البلد اللهم إلا

---

(٩٢) ذكر الشاعرين – لأحمد زكي : ص/٣٢٦ (طبعة مطبعة الترقي بدمشق) نقلاً عن شوقي شاعر العصر الحديث : ص/١٢ .

www.nidaulhind.com

حسنة واحدة ، وهي أنه مهّد التربة الصالحة لشاعرية شوقي . فقد أوفده إلى باريس ... إلخ" (٩٣) ، وهناك تفتّحت عينا شوقي على ألوان من الحياة ومفاتن الحضارة ، وهو في أثناء ذلك يتنقل بين باريس ولندن ، ويملأ عقله وروحه بالمدنية الغربية والآداب الفرنسية . ويقرأ للأدباء الفرنسيين والإنجليز ، وأعجب بشعر فيكتور هيجو . ولا مرتين ، و دي موسيه ، وغيرهم (٩٤) .

وبقي في فرنسا أربع سنوات ثم عاد إلى مصر ١٨٩٢م ، وكانت هذه الفترة فرصة له جعلته يجيد الفرنسية والإنجليزية . كما جعلته بيئته المنزلية يحذق التركية ، فلما رجع من بعثته عيّن في القصر بقلم الترجمة تحت ظلال الخديوي عباس الثاني الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه توفيق ، واتصل الشاعر الشاب بالأمير الشاب فقرّبه منه وآثره ، وجعله شاعره الخاص والمتحدث بلسانه ، يتغنى بأعماله . ويرفع إليه المدائح في المواسم والأعياد . وراح يفاخر الناس بكون شاعر العزيز :

*شاعر العزيز و ما * بالقليل ذا اللقب (٩٥)*

وفي سنة ١٨٩٤م عقد مؤتمر المستشرقين في مدينة "جنيف" فاشترك فيه شوقي ممثلا الحكومة المصرية ، وقدم فيه قصيدته الملحمية التاريخية الشهيرة بعنوان : "كبار الحوادث في وادي النيل" بدأها بقوله :

---

(٩٣) الهلال : العدد/٩ ، سبتمبر ١٩٦٦م ، نقلاً عن أحمد شوقي أمير الشعراء : ص/١٧ .

(٩٤) انظر : من أدبنا المعاصر - للدكتور مصطفى يونس : ص/١٠٠ (مطبعة الفجر الجديد) ، وشوقي شاعر :! مصر الحديث : ص/١٥ .

(٩٥) انظر : شوقي - شاعر العصر الحديث : دشوقي ضيف : ص/٢٥ .

www.nidaulhind.com

همّتِ الفلكُ و احتواهـــا المـــاء
وحَدَاهـا بمن تقلّ الرجـــاء (٩٦)

وبمناسبة اشتراكه في هذا المؤتمر زار كثيراً من البلاد الأوربيــة ، واتصل بأدبائها ومفكريها ، فزاده ذلك ثقافة وخبرة .

وظل شوقي يتقلب في فـراش النعيـم بـين القصـر ، ومنزلـه الفخم في القاهرة ويعيش حيـاة رتيبـة مرفهـة إلى أن أعلنـت الحـرب العظمى في سنة ١٩١٤م ، فعـزل الخديـوي عبـاس الثـاني لخصومتـه لإنجلترا و ولائه لتركيا ، ولم تكن السلطة الإنجليزيـة غافلـة عمـا كـان لشوقي من مكانة في القصر فنفي إلى أسبانيا ، فلما حيـل بينـه وبـين عشّه ، أحسّ بغير قليل من الألم ، بل أخـذ الألم يصـهر نفسـه ، لكـن شوقي لم يقض هذه الغربة رهيناً للآلام والأحزان ، بل اغتنمها فرصـة مناسبة ليجوس رحاب "بلاد المجد المفقود" فتنقل بـين مدنـها ، ورأى فيها آثار المجد العربي الدارس ، فحزّ ذلـك في نفسـه ، وأخـذ يبكيـها بكاء أو يصفها وصفاً دقيقاً ، كما عكف على قـراءة تـاريخ الأندلـس ودواوين شعرائها ، ومن ثم يعـترف شـوقي بنفسـه بـالتطور الخطـير الذي طرأ على نفسه إثر هذا النفي ، فيقول : "كان للحـرب العالميـة فضل كبير فيمـا نلتـه مـن مكانـة في الأدب وامتـلاك ناصيـة الشـعر العربي حيث كان سـبباً لاضطـراب سياسـي في مصـر ، وعلـى عقبـه نفيت إلى برشلونة ، وعكفت على قراءة كتب الأدب العربي ... حتـى أكاد أقول : إنه ليس في الأدب العربي كتاب لم استوعبه خلال السنين الخمس التي مكثتها في أسبانيا" (٩٧) .

وعاد أحمد شوقي من منفـاه ، لا ليواصـل وظيفتـه ومهمتـه في .

(٩٦) الشوقيات : ١٧/١ ، (دار الكتاب العربي - بيروت) حداها : ساقها .

(٩٧) مقدمة الشوقيات - للدكتور حسين هيكل : ٥/١ (دار الكتاب العربي - بيروت).

www.nidaulhind.com

القصر ، بل وجد أرض وطنه مخضبّة بدماء الحركة الوطنية الذكية بعد انتهاء الحرب العالمية ، فراح يناضل الشعب نضالاً مستميتاً ؛ للذود عن كل شبر من أرضه دون اغتصاب المحتلين (٩٨) . فأصبح شاعر الشعب المصري بل شاعر الشعوب العربية كلها . ينبض قلبه بأحلامها وآمالها وما تكون فيه من جهاد وثورات ، وانتهز كل فرصة للإشادة بزعيم عربي أو حركة عربية وإسلامية ، والتعبير عن آمال العرب والمسلمين ، وتشنيع ظلم المستعمرين وما يقومون به من اعتداء وتعذيب ، وبذلك أصبح شعره يردّد في كل مكان ينطق أصحابه بالضاد .

وفي سنة ١٩٢٧م اجتمع شعراء الدول العربية في حفل كبير أقيم لتكريم شوقي فأجمعوا على مبايعته بإمارة الشعر تقديراً لمكانته المرموقة في الإبداع الشعري ، وأعلن فيه حافظ بمبايعته ومبايعة شعراء البلاد العربية منشداً :

أمير القوافي قد أتيتُ مبايعاً
وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

وقد تضافرت عدة أسباب وعوامل في تكوين شخصيته الفنية وإخراجه الشعر العربي الرصين ، من حياته المترفة اللينة واتصاله بالقصر حيث مسرح العوامل السياسية والاجتماعية ، ثم عكوفه على دراسة ورواية الشعر القديم دراسة متعمقة بالإضافة إلى تأثره بالثقافة الأوربية ؛ و رحلاته المتوالية ؛ و أسفاره العديدة في أرجاء البلاد (٩٩) . كل ذلك قد أكسبه خبرات كثيرة وتجارب متنوعة ، وتفاعلاً مع استعداده الفطري ، فجعله فناناً بارعاً وبلبلاً ساحراً لا

---

(٩٨) انظر : حافظ وشوقي - لطه حسين : ص٢١٩ .

(٩٩) انظر : دراسات أدبية - لعمر الدسوقي : ص١٥٦ (دار نهضة مصر ، ط/٢).

www.nidaulhind.com

يزال يشدو على قيثارة الشعر العربي أنغاماً حلوة حتى سقطت من يده في سنة ١٩٣٢م .

وقد عاب كثير من النقاد على التصاقه بالقصر ومدحه للخديوي عباس والخليفة التركي قبل منفاه ، وظنوا أن ذلك ضيقت حدود شاعريته ، ومنهم شوقي ضيف فقال : "وليس من شك في أن شوقي في أثناء هذه الحقبة من حياته كان يعيش بعيداً عن الشعب ، فهو في القصر أو في برجه العاجي ، لا يفكر إلا فيما يفكر عباس فيه ، وكأنه دوّارة الريح فهو يدور لهم صاحبه حيث دار" (١٠٠) ، وقال : "وشوقي مشغول به (القصر) وبالخديوي يمدحه في كل مناسبة ... وأراد له أميره أن يولي وجهه نحو تركيا ، فأدار وجهه إلى القبلة ، وأخذ يرسل بتراتيله وأناشيده" (١٠١) ، إلا أني أرى في هذا الحكم تحاملاً على شوقي ، ولم تقدّر فيه تلك الظروف والملابسات التي تسود ذلك الوقت . فكان عباس في الفترة الأولى من حياته موضع أمل المصريين وحبّهم ؛ إذ كان بجانبهم في مقاومة الاحتلال ، كما كان موضع مدح كل الشعراء ، ومغاضبة تركيا كانت لا تعني إلا موالاة أعداء المسلمين جميعاً الإنجليز ، وكان محمد حسين محقاً في رد مثل هذه الأحكام الغير الدقيقة حيث قال : "فالذين يدرسون أدب الصحراء والفطرة في الجاهلية . لا ينصفون إذا وازنوه بموازين الحضارة والمدنية في القرن العشرين . وكذلك كان شأن الدارسين مع شوقي" (١٠٢) .

[للبحث صلة]

---

(١٠٠) شوقي شاعر العصر الحديث - د.شوقي ضيف : ص/٧ .

(١٠١) نفس المصدر السابق : ص/٢٣ .

(١٠٢) الاتجاهات الوطنية - للدكتور محمد محمد حسين : ج/١ ، ص/٧ .

www.nidaulhind.com

ملامح إسلامية في شعر شوقي !

(٣)

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

◆ الجانب السياسي :

قبل أن نتكلم عن هذا الجانب في شعر شوقي نودّ أن نوضّح أن الإسلام ليس مجرد عقيلة وعبادات وأصول دينية، بل هو نظام وشريعة وأنظمة وأعمل أيضاً، أو بعبارة أخرى هو جامع بين الدين والدولة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ﴾ (سورة النساء/١٠٤)، فلا يغفل الإسلام جانب السياسة، وكيف يغفله وهو الجزء المكمّل للدين؛ ولا يمكن تحقيق الحكم الإسلامي أو إقامة الدولة الإسلامية إلا باتّباع تلك النظم الحكيمة التي سنّها الإسلام في سياسة البلاد، وشئونها الإدارية والقضائية.

نداء الهند

ولعلّ شاعرنا كان يرى ذلك، فشعره في الناحية السياسية للإسلام، يحتلّ جزءاً كبيراً من ديوانه، فهو كثيراً ما يدعو المسلمين إلى نبذ التواكل، وإلى الجهاد في سبيل الحية الحقة، والوحدة في ظل الدين الإسلامي، وبناء الدولة الإسلامية على أسس صحيحة، ومن هذا المنطلق كان يذود عن الخلافة، ويساند الجامعة الإسلامية ويناضل الاحتلال، ويتعاطف مع الشعوب الإسلامية، ويبكي على مجد الإسلام الغابر والدول الزائلة، ويستنبط منها العظات؛ ليعتبر بها المسلمون، ويندفعوا إلى العمل في سبيل العزة والكرامة والسيادة.

www.nidaulhind.com

◆ الخلافة :

قدّمنا أن المسلمين في عصر شوقي ، يجدون في تأييد الخلافة الإسلامية إعزازاً للإسلام والمسلمين وتجميعاً للقوة ، واستجابة لما يأمر به الإسلام من الاتحاد والتناصر ، وهالهم أن رأوا الدول الأوربية تتألب للقضاء على الخلافة الإسلامية ، الجامعة الروحية للمسلمين حينئذٍ ، متمثّلة في تركيا ، بدافع من التعصب الديني والجشع الاستعماري ، فاقتضاهم هذا العدوان أن يؤازروا الخلافة في محنتها ومحنتهم .

وشوقي مسلم معتزّ بإسلامه ، متعلق بأسباب قوته ، حريص على وحدة المسلمين ، و علوّ شأنهم ، فهو يجد أيضاً الخلافة رمزاً للدين ، وعلماً لجلاله ، كما كانت وقتئذٍ من أهم الروابط التي تجمع المسلمين ؛ فدفعه شعوره الديني أن يزداد تعلّقاً بها وإشادة بشأنها ، فحين رأى الخلافة في الخطر ، يبشّرها بالبقاء ، فقد نجت في الماضي أيضاً ممّا أحاط بها من أهوال ، فكيف يستطيع الناس إطفاء جذوة أوقدها الله ؟ ويتمنّى لها الخلاص من أنياب الاستبداد ، والعودة إلى ما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين :

يا جذوةَ التوحيد هــل لكِ مطفئٌ
والله جلّ جلالــــه مُزكيـــكِ
يرميكِ بالأمم الزمـــــانُ و تارةً
بالفــــرد واستبداده يرميـــكِ .
عودي إلــى ما كنتِ في فجر الهدى
عُمَرٌ يسوسكِ و العتيقُ يليكِ (١٤٦)

(١٤٦) الشوقيات : ج٧ ، ص١٦٧ .

www.nidaulhind.com

ويمدح الخليفة عبد الحميد ، ويتّجه بشعره إليه منذ فجر حياته ؛ لأنه يرى فيه موئلاً للإسلام والمسلمين ، كما يراه داعياً إلى الجامعة الإسلامية التي آمن بها ، لأن فيها تكتل المسلمين ، وتنبيههم من غفلتهم ، وإعدادهم لمواجهة الاستعمار ، متأثراً بجمل الدين الأفغاني الذي حمل علَمَي الإصلاح الديني والسياسي ، فيمدح الخليفة في قصيدة ويدعو إليها :

رضـي المسلمـون و الإسلامُ
فرعَ عثمان ، دُم ، فـداك الـدوام
إيـه عبدَ الحميـد جـلَّ زمانٌ
أنت فيـه خليفة و إمـام
عُمَـرٌ أنت ، بيـد أنك ظـلٌّ
للبـرايا و عصمـة و سلام
أمّـة الترك و العراقُ و أهلـوه
و لبنـانُ و الربى و الخيـام
عالـم لـم يكن لِيُنظم لو لا
أنك السِلْم وسطـه و الوئـام
أيقولـون سكـرة لن تجلـى
و قعـود مع الهوى و قيـام
مُقَـلٌ عانت الظلام طـويلاً
فعمـاها في أن يزول الظلام (١٤٧)
أيها النافرون عـودوا إلينـا
ولِجوا البـاب إنـه الإسلام

(١٤٧) مقلٌ : جمع مقلة ؛ وهي العين .

www.nidaulhind.com

غرض أنتم و في الدهـــــر سهم
يوم لا تدفع السهامَ السهـــامُ (١٤٨)

وحين ينجو الخليفة من القذيفة التي ألقيت عليه عـام ١٩٠٥م ، يسارع شوقي فيهنّئه لأن فيه نجاة للإسلام والمسلمين ، ويتصـور الدنيا هاتفة بنجاة الخليفة شاكرة ربّها ، والذين اقترفوا هـذه الجريمة يعـادون الدين لا الدولة :

هنيــئاً أمــيرَ المؤمنين فإنمـــــا
نجــاتك للدين الحنيف نجــــــاة
يـــكاد يسير البيت شكراً لربّـــه
إليــك و يسعى هاتفاً عرفـــــات
فلـــــو لاك مُلك المسلمين مضيّـعٌ
و لـــو لاك شملُ المسلمين شتـــات
يعادون ديناً لا يعادون دولـــــــــة
لقـــد كذبت دعوى لهم وشكلة (١٤٩)

على أن شوقي كان يريد من الخلافة أن تكون شورية ، كما كان يذهب جمال الدين الأفغاني في دعوتـه للجامعـة الإسـلامية أن يكـون أساسها الشورى (١٥٠) ، فموقف شوقي منـه موقـف المؤيـد ؛ ولذلـك حين يعلن عبد الحميـد الدسـتور سـنة ١٩٠٨م ، يرتفـع صـوت شـوقي بالبشرى ، ورنّة الفرح يحملها إلى البريّة كلها :

---

(١٤٨) الشوقيات : ج/١ ، ص/٢٣٩-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢ .

(١٤٩) الشوقيات : ج/١ ، ص/٩٢-٩٣ ، ٩٥ .

(١٥٠) انظر : زعماء الإصلاح - لأحمد أمين : ص/١٠٠ .

www.nidaulhind.com

بشرى البريّة قاصيها و دانيهـــــا
حاط الخلافة بالدستور و حاميهـــا
أسدى إلينـــــا أمير المؤمنين يدأ
جلّت كما جلّ فـــي الأملاك مسديها
إن الندى و الرضى فيـــه و أسرته
والله للخير هـــاديه و هـــاديهـــا
و إنما هــــي شورى الله جاء بهـــا
كتـــابُه الحقّ يُعليها و يُغليها (١٥١)

وشوقي لم يكن يكتفي بمدح الخليفة والتنويه بأعماله ؛ لكونه زعيماً للمسلمين بل يوجّهه إلى واجباته ، ويطلب منه إصلاح الأمور ، وردع من آذى المسلمين ، فثار شوقي على شريف مكة : لما أساء إلى الحجاج في سنة ١٩٠٤م ، واستصرخ الخليفة واستنهض لتأديب حاكم مكة في صورة مثيرة للنخوة والغيرة على الدين ، فقد بلغت المظالم منه إلى أن جأر بالشكوى منها البيت الحرام ، والحجاز كله ، والحجيج من أصقاع العالم ، ثمّ زاد عليه تحريضاً آخر ، فكأنه يقول له : لقد استبد الشريف في تلك البقاع ، وتمرد على الخلافة والخليفة ، ويستثير عاطفة الخليفة الدينية بقوله : إذا لم تنتقم للحجاج فالله حسبهم وليّهم :

ضجّ الحجاز و ضجّ البيت و الحـــرم
و استصرخت ربّها فـــي مكة الأمم
قـــد مسّها في حماك الضرّ فاقض لها
خليفـــة الله : أنت السيّد الحكَم

---

(١٥١) الشوقيات : ج/٧ ، ص/٢٨٦-٢٨٧ .

www.nidaulhind.com

لك الربـــوع التي ريع الحجيجُ بها
أ للشريف عليهـــا أم لك العلم
أهينَ فيهـــا ضيوفُ الله و اضطُهدوا
إن أنت لـــم تنتقم فالله منتقـــم
يدُ الشريف علـــى أيدي الولاة علتْ
و نعلـه دون ركـــن البيت تستلم
أدّبـــه أدَب أمـيرَ المؤمنين فمـــا
في العفو عن فاسق فضل ولا كرم (١٥٢)

وشاعرنا يطرب لانتصار الدولة العثمانية ، ويجد في انتصارهـا نصرة للإسلام والمسلمين ، ومن ذلك قصيدة (صدى الحرب) التي مجّد فيها السلطان عبد الحميد وأشاد انتصـار جيوشـه ، وعبّر عـن فرحة الدول الإسلامية ، ومشاركتها سرورَ دولة الخلافة ساخراً بأعدائها :

بسيفـــك يعلو الحق و الحق أغلب
و ينصـــر ديـنَ الله أيّان تضـــرب
فأدّب بــــــه القوم الطغاة فإنّه
لنعم المربى للطغـــــاة المـــؤدبُ
و تمّ لنا النصرُ المبين علـــــى العدا
و فتحُ المعالي والنهـــار المذهب (١٥٣)

ويحزن شوقي وينـوح حينمـا تنـهزم الدولـة العثمانيـة ، فلمّـا سقطت أدرنه في مقدونية سـنة ١٩١٢م في يـد البلغـار ، حـزن شـوقي وتفجّع . وقل قصيلة حارة سمّاها (الأندلس) الجديدة ، لأن في سـقوطها

(١٥٢) الشوقيات : ج/١ ، ص/٢١٧-٢١٢ .

(١٥٣) الشوقيات : ج/١ ، ص/٤٢-٥٠ .

www.nidaulhind.com

يا أخـــت أنـــدلس عليـــكِ سلام
هـــوتْ الخلافةُ عنـــكِ و الإسلام
نـــزل الهـــلال عن السماء فليتها
طُويتْ و عـــمّ العالمين ظـــلام
جرحـــــان تمضـــى الأمّتان عليهما
هـــــذا يسيل و ذاك لا يلتـــــام
بكما أصيب المسلمـــون و فيكمـا
دُفِــــن اليراعُ و غُيِّب الصمصـــام
لـــــم يُطوَ مأتمهـــــا ، و هذا مأتم
لبسوا السواد عليكِ فيه و قاموا (١٥٤)

وإذ كان شوقي يجد في الخلافة مجد الإســلام ، وعــزّ المسـلمين ، وحمايتهم من عدوان الطامعين ، فقد جزع حينما ألغى مصطفى كمـل الخلافة ، ونفى الخليفة ، فرثى الخلافة رثاء الملتاع ، فقد انفصمت تلك الرابطة التي تضمّ المسلمين في علاقة روحية صافية :

عـــادت أغـــــاني العرس رجعَ نُواح
و نُعيتِ بـــين معــــالم الأفراح
كُفّنتِ فـــــي ليل الزفاف بثوبه
و دُفنتِ عنـــد تبلّج الإصبـــــاح
ضجّت عليـــك مآذنٌ و منـــــابرٌ
و بكت عليـــك ممالك و نـــواح

(١٥٤) الشوقيات : ج/١ ، ص/٣٣٠-٣٣١ ، اليراع : القلم والصمصام : السيف .

www.nidaulhind.com

وعـلاقة فُصِمتْ عرى أسبابهـا
كانت أبرُّ عـلائـق الأرواح (١٥٥)

وهذا الرثاء أكبر دليل على أن شوقي كان يصدر في قصائده عن الخلافة والخليفة عن عقيلة دينية عميقة ؛ إذ نفض شوقي يده من الخلافة وتركيا بعد هذا الرثاء ، ولم نسمع له بعد ذلك شيئاً (١٥٦) .

◆ ٢- الوطنية الإسلامية :

شوقي يحب مصر حباً يسرى في دمه ، ويخلص الولاء لوطنه ؛ فهو القائل :

وطني لـو شُغِلْتُ بالخلد عنـه
نازعتني إليه فـي الخلد نفسي (١٥٧)

وقل :

أحبكِ مصرُ من أعماق قلبـي
وحبُّكِ في صميم القلب نامي (١٥٨)

وشارك الحركة الوطنية عندما كان يتزعّمها الخديوي عباس ، وقال قصائد رائعة في الوطنية (١٥٩) ، ومن أروع قصائده في ولاء مصر "كبار الحوادث في وادي النيل" ، كما كان على اتصال وثيق بمصطفى كامل الذي حمل لواء الحركة الوطنية لتقويض أركان الاحتلال الأجنبي من البلاد ، وشارك في جهاده (١٦٠) وناهض

---

(١٥٥) الشوقيات : ج/١ ، ص/١٠٥-١٠٦ .

(١٥٦) انظر : دراسات أدبية - لعمر الدسوقي : ص/١٦٧ ، (ط/٢ ، دار نهضة مصر للطبع) ، و وطنية شوقي - للدكتور الحوفي : ص/٣٩١ .

(١٥٧) الشوقيات : ج/٢ ، ص/٤٦ . (١٥٨) الشوقيات : ج/١ ، ص/٢١١ .

(١٥٩) انظر : وطنية شوقي : ص/١٠٤ ، والاتجاهات الوطنية : ص/١٨١ .

(١٦٠) انظر : وطنية شوقي : ص/٩٩ .

www.nidaulhind.com

الاحتلال ، وعبّر عن بغضه له وندّد بمظالمه (١٦١) ، ولمّا رجع من منفاه اختلط بأبناء الوطن ، وكان الناطق بلسانهم ، والمعبّر عن آمالهم ، و أشاد بمجاهدي الوطنية بصوت أقوى و أشد ، كما أشاد بثورة ١٩١٩م (١٦٢) ، ولكنه مع هذه الوطنية الصادقة لم يتخلّ عن العاطفة الدينية ، ولم يذهب مع الفريق الذي يدعو إلى الوطنية الخالصة المادية ، بل ذهب إلى رأى مصطفى كامل - و أسلفنا آراءهم في الفصل الأول (١٦٣) - أن تستقل مصر استقلالاً تاماً على أن ترتبط بالخلافة برابطة الإسلام (١٦٤) ، فكانت وطنية مختلطة بالدين ، ويدل على هذه النزعة قوله للسلطان عبد الحميد مصرّحاً بأن مصر تحبّ تركيا لما بينهما من روابط دينية ، ولكنها حريصة على كيانها ، ساعية لاستقلالها من استبداد الاحتلال :

قال العذول : خرجنا من محبّتكم
من الوقار فيا صدقَ الذي زعما
فما على المرء في الإخلاص من حرج
إذا رعى صلة في الله أو رَحِما
نحنو عليكم و لا ننسى لنا وطناً
و لا سريراً و لا تاجاً و لا عَلَماً (١٦٥)

ويرثي صديقه مصطفى كامل زعيم الوطنية ، فيرى فيه مجاهداً في سبيل الله وخادماً للإسلام ، وموالياً للخليفة ، فيقول :

---

(١٦١) نفس المصدر : ص/١٥٠ .

(١٦٢) نفس المصدر : ص/١٩٥-١٩٧ . (١٦٣) انظر : ص/١٧ .

(١٦٤) انظر : الاتجاهات الوطنية : ص/٨٢ وما بعدها ، و وطنية شوقي : ص/٢٧٦، ٣٩٤ ، وفي الأدب الحديث - لعمر الدسوقي : ج/١ ، ص/٣٠ .

(١٦٥) الشوقيات : ج/١ ، ص/٢١٧ .

www.nidaulhind.com

يـــا خــادم الإسلام أجرُ مجاهـــد
فـــي الله مـــن خلد و من رضوان
لـــا نُعيتَ إلى الحجاز مشى الأسى
فـــي الزائرين ورُوّع الحرمان
السكّةُ الكـبرى حيـــل رباهمـــا
منكوسةُ الأعلام و القضبـــان (١٦٦)
لـــم تألُها عن الشدائد خـــدمة
فـــي الله و المختار و السلطان (١٦٧)

و لأن المتدين بالدين الإسلامي، متى رسخ فيه اعتقاده، يلـهو عن جنسه وشعبه، ويلتفت عن الرابطة الخاصة إلى العلاقة العامة، وهي علاقة المعتقد ... فقد قل رسول الله ﷺ: "ليس منا من دعا إلى عصبية ..." (١٦٨)، ومن هذا المنظور الإسلامي كان ينطلق شوقي في وطنيته، وتتسع نظرته فينظر إلى العالم الإسلامي كله كنظره إلى مصر: فلا فرق بينها وبين أية دولة إسلامية أخرى (١٦٩)، يتمنى لها كلها العزة والبأس، ويتوجّع لما هي فيه من نوم عميق، مع أنها تحمل نورين: نور القرآن ونور الحديث، فيقول مخاطب الخديوي بمناسبة سفره للحج أن يبلغ إلى الرسول الكريم ﷺ حال أمته، ويدعو الله أن يشد أزر المسلمين، وأن يوفقهم للعمل على إعلاء شأن الدين وقوّته:

فقـــل لرسول الله: يا خير مـــرسل
أبثّك مـــــا تدري من الحسرات
شعوبـــك فـــي شرق البلاد و غربها
كأصحاب كهف فـــي عميق سبات

(١٦٦) السكّة الكبرى: يريد سكة حديد الحجاز. (١٦٧) الشوقيات: ج/٣، ص/١٥٧.
(١٦٨) العروة الوثقى ١٣/مارس ١٨٨٤ نقلاً عن شوقي؛ شعره الإسلامي ص/٤٥، قلت: والحديث من رواية أبي داؤد عن جبير بن مطعم ﷺ، وإسناده ضعيف (مشكلة المصابيح/٤٩٠٧). (١٦٩) انظر: شوقي: شعره الإسلامي: ص/٥٢.

www.nidaulhind.com

بأيمـــــانهم نوران : ذكر و سنـــة
فمـــــا بالهم في حالك الظلمات
فقـــل : ربّ وفّق للعظائم أمتــــــي
و زيّن لها الأفعل و العـــزمات (١٧٠)

ويلمّ الفرنسيون دمشـق في الثـورة السـورية ، فيتقطّع قلـب شوقي دماً على هذه الفجيعـة ، وفي أبيـات مؤثـرة يحثّ أبناءهـا على الكفاح والنضال في سـبيل الحيـاة الكريمـة والحريـة ، مذكـراً بتاريخـها الطويل في الكفاح :

وبـــــي مّما رمتْك به الليالــــــــي
جـــراحات لهـــــا في القلب عمق
ألستِ - دمشـقُ - للإسلام ظئــرا
و مـــرضعـــــة الأبوّة لا تُعقُّ (١٧١)
و كلّ حضـــــارة فـــي الأرض طالت
لها من سرحك العُلـــويّ عِرق (١٧٢)
بنـــي سورية اطرحـــوا الأمـــــاني
و ألقـــــوا عنكم الأحــــلام ألقـــوا
و للــــــحريّة الحمـــــــراء بـــاب
بكل يـــد مُضـــرّجـــة يُدقّ (١٧٣)

ويلوم العقاد شوقياً على هذه النزعة ، فيقول : "فبيئة شـوقي .. هي بيئة الترك (الحكوميين) المتمصّرين الذين عُنوا بالجامعة الدينيـة أشدّ من عنايتهم بالوطنيـة المصريـة" (١٧٤) ، ومـاذا عليـه ؟ ولـو لام اللائمون ، إن تمسّك بما يرضه الإسلام .

---

(١٧٠) الشوقيات : ص/١٠١-١٠٢ ، وقلت : ليـس في هـذه الأبيـات الاستـفاع الممنوع وإنما هو أسلوب من أساليب الشعراء والأدباء للتعبير عن الحسرة والألم والترغيب في تحسين الأوضاع والأحوال . (١٧١) الظئر : المرضعة .
(١٧٢) السرح : الشجر العظام . (١٧٣) الشوقيات : ٢/٧٤-٧٥-٧٦-٧٧ .
(١٧٤) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي : ص/١٨٣ .

www.nidaulhind.com

ملامح إسلامية في شعر شوقي !

(٤)

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

◆ البكاء على الأندلس :

حينما كان شوقي في منفاه في الأندلس ، اغتنم هذه الفرصة ليجوس رحاب بلاد المجد المفقود ، ويعيش مع العرب الأماجد عبر آثار مجدهم الدارس المتمثلة في القصور والمساجد والمدارس ، فتنقل بين مدن الأندلس الكبيرة ، ورأى مشاهد حضارتهم الشامخة ، المتطاولة إلى السماء سموا ورفعة ، وعزّهم التليد في قرطبة واشبيلية ، وغرناطة ؛ فذهب يبكيهم في قصيدته السينية المعروفة ، فصوّر قصر الحمراء بغرناطة تصويراً دقيقاً ، كأنها تمثلت أمام أعيننا ، و وقف يذكر - وقد ملكه الحزن والتألم - خروج العرب من الأندلس في ذل وهوان ، ويذكر دخولهم وكيف كانوا في قوة وعز وجلال :

من (الحمراء) جُلّلت بغبار الدهر ، كالجرح بين برء و نُكس

حصنُ (غرناطة) و دار بني الأحمر : من غافل و يقظان نَدس (١٧٥)

جَلَلَ الثلجُ دونها رأس شيرى فبدا منه في عصائبَ برس (١٧٦)

(١٧٥) الندس : الفهم .

(١٧٦) عصائب : بيض كالقطن .

www.nidaulhind.com

مشت الحادثات فـــــــي غـــرف
الحمراء مشى النّعي فـــــي دار عرس
هَتَكتْ عـــــــــزّةَ الحجاب و فَضّتْ
سدّةَ الباب مـــــــن سمير و أنس
خرج القوم فــــــــي كتــائبَ صُمّ
عن حفاظ ، كموكب الدفن خُرس (١٧٧)
ركبـــــــوا بالبحار نعشاً ، و كانت
تحت آبائهم هـــي العرشُ أمس (١٧٨)

ينتقل بنا هذا البكاء إلى شاعر الإسلام محمد إقبال الـــذي كـان أكثر بكاءً وتفجّعاً على مجد الدين الإسـلامي الغـابر في الأندلـس ؛ إذ يقف في جامع قرطبة العظيم وقفة شاعر مفعم قلبـه بالإيمـان ، ويحـرّك "هذا الأثر التاريخي ، وهذا المسجد الغريـب الفريـد الـذي لم يعـرف منبره الخطبة ، ولا بلاطه السجود ، ولم تعـرف مناراتـه الرفيعـة الآذان منذ قرون ، حـرّك كـل ذلـك في إقبـال الإيمـان و الحنـان و الأحـزان و الأشجان ، و جادت قريحته الوقـادة بقصيـدة خـالدة سمّاهـا : "في جـامع قرطبة" (١٧٩) ، والجدير بالذكر أننا نلاحظ توافقاً كبـيراً بـين شـوقي وإقبل في جميع هذه المعاني والمضامين التي استعرضناها في هذا المبحث من الولاء للخلافة ، وفكرة الوطنية الإسلامية بدل الوطنيـة القوميـة ، والبكاء على الأمجاد الغابرة ، التألم بانحطـاط المسـلمين ، علـى الرغـم من امتلاكهم مصدرين عظيمين للقوة العزة والسيادة ؛ وهما : القرآن والسنة .

ولا غرابة في ذلك ، فإنهما عاشا في فترة زمنية واحـدة ، وحملا

(١٧٧) الحفاظ : الذب عن الحارة . (١٧٨) الشوقيات : ج/٢ ، ص/٥٠-٥١ .
(١٧٩) روائع إقبل : للشيخ الندوي : ص/١٤٣ .

www.nidaulhind.com

قلب المسلم المرهف الإحساس ، فتفتّقت قريحتهما عـن نفس الهموم التي أملت عليها عاطفة الإيمان والعقيدة المشتركة ، وإن كان فارق اللغة والجنس والمكان حائلاً بينهما .

ولم يكتف شوقي بالنظر فيما حوله من عبر التاريخ الأندلسي ، بل امتد بصره في أعماق تاريخ عظماء العرب والدول الإسلامية ؛ فكتب ديوان : "دول العرب وعظماء الإسلام" ، تناول فيه الشاعر تاريخ الإسلام ورجاله حتى نهاية العصر الفاطمي ... وكلّ ذلك ؛ ليبكي أيامهم ، ويستخرج منها العظات التي تدفع همم المسلمين وتحفّزهم على الاقتداء بأبطال الإسلام الأولين :

حتـــــى أراد الله أن نـظـمـــت
مـــن سير الرجـــال ما استعظمت
علماً بما يبعث فــــــي الأحداث
غرائب الأعمل و الأحــــداث (١٨٠)

والتاريخ قطب دائر في شعر شوقي ، يقول الأستاذ نجيب الكيلاني : "والواقع أن المتصفح لديوان أمير الشعراء ، يجد فيه سجلاً حافلاً للتاريخ الإسلامي وأحداثه الكبرى ، ويستخلص منها العبر والدروس ، ويدعو الأجيال الجديدة للعودة إلى تاريخها ... ويعتبر ذلك هو البداية الحقيقية للانطلاق إلى عصر التحرر والعلم والكفاح" (١٨١)

◆ الجانب الاجتماعي في شعر شوقي :

قضى شوقي أكثر حياته في ظل القصر والحياة الناعمة ، ولكنه

---

(١٨٠) دول العرب وعظماء الإسلام : ص٧ .

(١٨١) نحن ... والإسلام – نجيب الكيلاني : ص١٤٧ (مؤسسة الرسالة ، ط/٢ ، ١٩٨١م).

www.nidaulhind.com

لم يكن بعيداً عن مجتمعه وقضاياه المتجددة في كل حين ، وخاصة في عصره الذي كان عصر احتكاك بين المدنية الغربية والمدنية الشرقية ، ومن أهم القضايا التي ظهرت نتيجة هذا الاحتكاك ؛ هي :

♦ ١- قضية الحجاب والسفور :

فما كان موقف شوقي الذي كان الدين حاجة في نفسه من هذه القضية التي كانت تهم المجتمع الإسلامي ؟ والتي كانت مجال جدال ونقاش بين المجددين والمحافظين في أوائل القرن العشرين ، ولم يكن يُعني بالحجاب والسفور ستر الوجه أو علمه فقط ، وإنّما المشكلة كانت أعمق من ذلك ، فالسفور كان بمعنى خروج المرأة من البيت واختلاطها بالرجال ، ومشاركتها في أعمالهم وشئون الحية (١٨٢) .

أما موقف شوقي من هذه القضية ، فالحقيقة أنه يقف منها موقف متردّد حائر لا يكاد يستقرّ رأيه على حدّ معين ، فبينما ينكر على داعي السفور قاسم أمين في رثائه ، فيسائله عما أخذ على الحجاب ، ورأى فيه من العسر حتى هبّ يدعو إلى التخفيف من أثقاله ، تجده فجأة يترفّق له ، فيقول : هذا رأيه الخاص ؛ لأنه لم يره مخالفاً للكتاب والسنة ، ثم امتدح فيه شجاعة الرأي :

ماذا رأيتَ من الحجاب و عسره
فدعوتَنا لترفق و يسار
رأيٌ بدا لك لم تجده مخالفاً
ما في الكتاب و سنّة المختار
و الباسلان : شجاعُ قلبٍ في الوغى
و شجاعُ رأي في وغى الأفكار (١٨٣)

(١٨٢) انظر : الدين والأخلاق في شعر شوقي : ص/١٨٣ ، الاتجاهات الوطنية : ص/٢٩٣ .
(١٨٣) الشوقيات : ج/٣ ، ص/٧٨ .

www.nidaulhind.com

ثمّ في القصيدة نفسها يبلى رأيه بالموافقة على الحجاب حسب صورته المشروعة ، وبمقدار ما يحقق حكمة مشروعيته بـدون أن يُشـدَّد فيه فيصبح أذى وضراراً :

إن الحجــــاب سمــاحــــــة و يسارة
لو لا وحوشٌ في الرجال ضــــــواري
جهلـــــــوا حقيقته و حكمة حكمه
فتجاوزوه إلــــى أذى و ضرار (١٨٤)

وفي قصيدة له "كوك صو" (١٨٥) يؤيـد السفور جهرة ، بـل يزيد فينعى على أنصار الحجاب رأيهم فيـه ، ويـرى فيـه حيلولـة دون صنيع الله ، ويبدو من كلامه أن يقيِّد السفور بالتأدب والتثقف :

تحيـــــة شاعــــر يـــا مـــاء جكسو
فـلـيس سـواك لـلأرواح أنس
وردنـك كـــوثراً و سفــرن حــورا
و هــــل بالحــــور إن أسفرن بأس
فقـــل للجانحين إلـــى حجـــاب
أتُحْجَب عـــن صنيـــع الله نـفس
إذا لــــم يستر الأدبُ الغـــوانــــي
فلا يغنى الحريـــر و لا الــــدمقس
تأمّل هــــل تـــرى إلا جـــلالا
تُحسّ النفسُ منه مــــا تُحسّ (١٨٦)

إن هذا الكلام فيه تجنٍّ ظاهر على حكم مـن أحكـام الشـرع ،

---

(١٨٤) الشوقيات : ٧/٣ . (١٨٥) كـوك صـو : مكـان جميـل في تركيـا ، ومعنى اللفظين : ماء السماء . (١٨٦) الشوقيات : ٢/٥٢-٥٣ .

www.nidaulhind.com

ولو كان صادراً من شاعر في أسلوب غزلي، ولا يقصد به الحقيقة؛ إذ وجدناه آنفاً مؤيداً للحجاب إلى حد كبير، ولعل السبب يرجع إلى عدم إدراكه خطورة ما قاله أو إلى حيرته التي كان واقعاً فيها.

ففي قصيدته (مصر تجدّد مجدها) يحبّذ بالنهضة النسوية، وما تقوم به النساء من أعمال ونشاطات لا تخلو من السفور، ويشيد باشتراكهن في المسائل العامة:

يمشين في سوف الثوا
ب مساومات رابحات
يَلْبسنَ ذلّ السائلا
ت وما ذكرنَ البائسات
فوجوههن وماؤها
سِترٌ على المتجملات
مصر تجدّد مجدها
بنسائها المتجدّدات (١٨٧)

ولكن هذا الإعجاب والرضا بنشاط المرأة، لم يمنع الشاعر من إسداء النصيحة إليها؛ فلذلك أخذ ينصح بالرجوع إلى الكتاب والسنة، والاهتداء بهدي السلف الصالح، فالإسلام خير مربّ، قد كفل للمرأة حقوقها، وأعلى في المجتمع مكانها؛ فيقول مخاطباً لمن يباركون النهضة:

خذ بالكتاب وبالحديث
وسيرة السلف الثقات
وَارْجع إلى سنن الخليقة
وَاتبعْ نظامَ الحياة

(١٨٧) الشوقيات: ١/١٠٤-١٠٥.

www.nidaulhind.com

هـــــذا رسول الله لـــــم
ينقص حقوقَ المـــؤمنـــات

العلـــم كـان شريعـــة
لنسائـــه المتـفـقـهـات (١٨٨)

ويتحدث عن كتاب قاسم أمين في تحرير المرأة ، فوصفه بالقصد في الرأي والبراعة من الغرور في العرض :

مـا فـــي كتابك طـفـــرة
تنهـــى عليـك و لا غـــرور

وهكذا نرى شوقي متردداً ، حائراً بين الحجاب والسفور ، لا يأخذ برأي ولا يقطع بأمر ، وليس هنا إلا صورة للتناقض والتردد الذي كان طابعاً لعصره ، ومظهراً للأزمة التي كان يجتازها المجتمع الإسلامي حينذاك ؛ بسبب احتدام المعركة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية .

◆ ٢- الانتحار :

هو جريمة دينية منكرة ، حرّمها الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوْا أَنْفُسَكُمْ * إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ (١٨٩) ، ثمّ هو جناية اجتماعية ؛ إذ حياة المرء ليست ملكاً له ، بل ملك الله ، يهبها لمسئوليات شتى : منها خدمة الأهل ، والعشيرة ، والقوم ، والوطن ، فعدوان المنتحر على نفسه عدوان على هؤلاء جميعاً ، وقد ابتليت مصر بهذا الداء الوبيل في بعض الوقت ، وكان الطلبة أكثر لجوءاً إلى ذلك كلما عزّ عليهم النجاح في الامتحان .

وقد أفزعت شوقي هذه الكارثة ؛ إذ كان قلب البلاد الخافق ،

(١٨٨) الشوقيات : ١٠٣/١ . (١٨٩) سورة النساء ، الآية/٢٩ ..

www.nidaulhind.com

ولسانها الناطق ، وأكثر ما يؤلمه انتحار الشباب في زهرة العمر ، فنظم قصيدة بديعة ، تستحقّ أوفر الإعجاب ، وأجمل الثناء ، وجعل عنوانها : "انتحار الطلبة" ، فيأسى فيها على الصبا الذي في نضرة الزهور ، لكنه ينتهي قبل أن يشتدّ عوده ويثمر وينتج ، ولقد شاعت هذه الجريمة ، فكان يُسمَع كلّ يوم عن حدث فارق الدنيا ضجراً بالحياة و واقعها الأليم ، ولِمَ هذا الإقدام الشنيع ؟ فالدنيا معترك ، وعلى الإنسان أن يخوضه بإرادة ثابتة وعزم قوي ، حتى يمتلك من ناصيتها ويغلب عليها ، ثم يتّجه إلى الشباب ، يعطف عليهم كأب حنون ، ويبغّض إليهم الانتحار ، وينصحهم ويعاتبهم في رفق وحنان ويحبب إليهم الحياة ، ويذكرهم بالله وأن قتل النفس يجلب سخطه وغضبه وعقابه :

ناشئ في الورد من أيّامه
حَسْبُه اللهُ أبا الوَرْدِ عثر
سدّد السهمَ إلى صدر الصبا
و رماه في حواشيه الغُرر
كلّ يوم خبر عن حَدَثٍ
سئم العيشَ و من يسأمْ يذر
لا أرى الأيام إلا معركا
و أرى الصنديد فيه من صبر
نَشأُ الخير رويداً قتلكم
في الصِّبا النفسَ ضلال و خُسُر
تُضمر اليأسَ من الدنيا و ما
عندها عن حادث الدنيا خبر
فيم تجنون على آبائكم
ألَمَ الثُّكل شديداً في الكبر

www.nidaulhind.com

قاتلُ النفس - و لو كانت له -
أسخط الله و لم يُرضِ البشر (١٩٠)

◆ ٣- الفقر والجهل :

كان من أبرز مشكلات المجتمع الجهل والفقر في ذلك الوقت، وقد حاول المصلحون جاهدين معالجة هذه المشاكل، فانبرى شوقي يحاول معالجة مشكلة الفقر بوجهة النظر الإسلامية، ويرى بخل الأغنياء وإحجامهم عن أداء الزكاة سبباً أساسياً في انبعاث هذه المشاكل، فالبخل وكنز المال داء ليس كمثله داء، والبرّ عاقبته الخير في حياة المحسن، وبعد موته له الثواب الجزيل والذكر الحسن، والزكاة هي الركن الأساسي للدين، وهي الإنصاف للفقير من أهل الغنى، حتى يشعر الفقير بعطف الغني فيخلص له الحب، ويسود المجتمع الإسلامي الصفاء والأخوّة :

و لم أر مثل جمع المال داءً
و لا مثل البخيل به مصابا

فلو طالعتَ أحداث الليالي
وجدتَ الفقر أقربها انتسابا

و أن البرّ خيرٌ في حياة
و أبقى بعد صاحبه ثوابا (١٩١)

أكلٌّ في كتاب الله إلا
زكاةَ المال ليست فيه بابا

و لم أر مثل سوق الخير كسبا
و لا كتجارة السوء اكتسابا

---

(١٩٠) الشوقيات : ١٢٥/١-١٢٦-١٢٧-١٢٨.   (١٩١) الشوقيات : ٦٩/١.

www.nidaulhind.com

و لا كأولئك البؤساء شاءً
إذا جوّعتها انتشرت ذئابا (١٩٢)

وكان شوقي كلفاً بالدعوة إلى العلم ، يردّدها في كثير من قصائده ، كأنها عقيدة من عقائده ؛ لأنه يؤلمه أن يظل الشعب في جهل وخمول ، ولا سبيل لتقوية شأنهم وتعزيز مجدهم الذي كان ينشده إلا العلم ، فالعلم ذريعة للقوة و وسيلة للفوز والغلبة :

بالعلم تمتلك الدنيا و نضرتها
و لا نصيبَ من الدنيا لجُهّال
هل علمتم أمة في جهلها
ظهرتْ في المجد حسناءَ الرداء (١٩٣)

وقلما تخلو قصائده الدينية من ذكر العلم والعلماء ، والإشادة بفضلهما ؛ لكي يؤازر دعوته إلى العلم ، ويمدح النبي الكريم ﷺ ، ويذكر مرتبته في العلم ؛ فيقول :

يا أيها الأمّي ، حسبك رتبة
في العلم أن دانت بك العلماء
أمّا حديثك في العقول فمَشرَعٌ
و العلمُ و الحِكمُ الغوالي الماء (١٩٤)

ويحثّ على احترام المعلّمين ؛ فيقول :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا (١٩٥)

ويرى أن العلم ريٌّ للنفوس العطاش إلى الخير والحق ، وهو المصباح الذي يتوصّل به إلى معرفة الله ، فلو صحّ أن يُرى الله ، لكان

(١٩٢) الشوقيات : ٦٧/١-٦٨ .
(١٩٣) الشوقيات : ٦/٢ .
(١٩٤) الشوقيات : ٢٦/١ .
(١٩٥) الشوقيات : ١٨٠/١ .

www.nidaulhind.com

العلم هو المصباح الذي يراه به العلماء :

لــو يُــرى الله بمصبــاحٍ لما
كان إلا العلم جلّ الله شأنا (١٩٦)

ولا شك في ذلك ، فلهذا الفضل للعلم والعلماء ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُـونَ * وَالَّذِيـنَ لاَ يَعْلَمُـونَ ﴾ (١٩٧) ، وقل جل وعلا : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١٩٨) ، وقال النبي الكريم ﷺ : "من سلك طريقاً ، يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم" (١٩٩) ، وقل عليه الصلاة والسلام : "إن العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورّثوا العلم ، فمن أخذه ، أخذ بحظ وافر" (٢٠٠) .

ويقول شوقي :

جــل شأن الله هــادي خلقــه
بهدى العلم ، و نور العلماء (٢٠١)

ويدافع شوقي عن حق النساء في التعلّم ، فيضرب المثل بحالهن في صدر الإسلام وعصور الازدهار ، ويفاخر بما كان لهن من آثار :

هــذا رسول الله لــم * ينقص حقوقَ المؤمنات
العلم كان شريعــة * لنسائــه المتفقهات
كانت سُكينَــةُ تملأ * الدنيا و تهـزأ بالرُّواة
روتِ الحــديث
وفسّرتْ آي الكتاب البيّنات (٢٠٢)

---

(١٩٦) الشوقيات : ١٨٩/٢ . (١٩٧) سورة الزمر ، الآية/٩ .
(١٩٨) سورة فاطر ، الآية/٢٨ .
(١٩٩) رواه أبو داؤد عن أبي الدرداء ﷺ بإسناد حسن (مشكاة المصابيح/٢١٢) .
(٢٠٠) الجزء الأخير من الحديث السابق .
(٢٠١) الشوقيات : ٤/٢ . (٢٠٢) الشوقيات : ١٠٣/١ .

www.nidaulhind.com

ملامح إسلامية في شعر شوقي !

(٥)

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

◆ الجانب الخلقي :

مرّت مصر في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين بمحن شداد - وسبق الكلام على ذلك في الفصل الأول (٢٠٣) - يتلو بعضها بعضاً ، وكانت سبباً في ظهور بوادر ضعف ، أو أعراض انحلال ، فكان طبيعياً أن يلتفت الشاعر الحريص على الإصلاح ونهضة المجتمع الإسلامي ، على أساس قويم من الأخلاق والفضائل إلى أن يتحدّث عنها ويشيد بعملها في بناء الأمم وإصلاح المجتمع ؛ إذ كان يراها أسّ المجتمع وقوام الحياة ومادّتها ، فإذا ذهبت الأخلاق عن قوم ، ضاعت كرامتهم ، وفقدوا عزّهم ، وكانوا خليقين أن تقام عليهم المآتم والعويل ؛ فلم يصب قوم في الأخلاق إلا هلكوا ، وكثيراً ما يتكرّر هذا المعنى في شعره (٢٠٤) :

إنّما الأمم الأخلاق ما بقيتْ
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا
إنّما الأمم الأخلاق ما بقيتْ
فإن تولت مضوا في إثرها قدما (٢٠٥)

---

(٢٠٣) انظر : ص/١٣ وما بعدها .

(٢٠٤) انظر : شوقي : شعره الإسلامي : ص/١٤١ وما بعدها .

(٢٠٥) الشوقيات : ج/١ ، ص/٢١٧ .

www.nidaulhind.com

و إذا أصيب القـوم فـــي أخلاقهم
فأقم عليهم مأتمــا و عـــويلا (٢٠٦)

ولا ريب في أن المجتمع لا ينهض ولا يصلح حالـه إلا بصلاح الأخلاق والتطلّع إلى الفضـائل ؛ ولذلـك قـال الرسـول الكريـم ﷺ : "إنما بعثت لأتمم حسن الأخـلاق" (٢٠٧) ، والرسـول الحبيـب عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة لنا في السيرة والأخلاق نؤمر بالتأسي بها إذ "كان خلقه القرآن" ، فشوقي في قصيدة : "ولد الهدى" يثنى على خلقه العظيم بقوله :

يا من لــــه الأخلاق ما تهوى العلا
منهــــا ، و مــــا يتعشّق الكـــبراء
لـــو لـــم تُقِم ديناً ، لقامت وحدهـا
دينـــا تضـــئ بنـــوره الآناء
زانتك فـــــي العظيم شمـائل
يُغرَى بهن و يُولـع الكـرماء (٢٠٨)

ويحثّ الرسول الكريم عليه الصلاة والتسـليم علـى حسن الخلق ، فيقول : "إن من أحبّكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يـوم القيامـة ، أحاسنكم أخلاقاً" (٢٠٩) .

---

(٢٠٦) الشوقيات : ج/١ ، ص/١٨٣ .

(٢٠٧) رواه أحمد عن أبي هريرة ﷺ وإسـناده حسـن وصحّحـه الحـاكم و وافقـه الذهبي (مشكلة المصابيح : ٥٠٩٧) .

(٢٠٨) الشوقيات : ج/١ ، ص/٣٥ .

(٢٠٩) رواه الـترمذي مـن حديـث جـابر ﷺ ، وقـال : حديـث حسـن (ريـاض الصالحين رقم/٦٣٦ ، تحقيق ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسـلامي ، بـيروت ، ط/٣ ، ١٤٠٦هـ) .

www.nidaulhind.com

وينبري شوقي لمكافحة بعض الأدواء الخلقية التي تفشت في المجتمع منها ما يسميه بـ :

♦ ١- عبث المشيب :

فوجد شوقي أن بعض الشيوخ يهجرون نساءهم ، ويقبلون على الزواج بصغار الصبيات لغير حاجة مقتضية ولا غاية كريمة ، فيرشون أهلهن حتى تكون الصبيّة الناضرة من نصيب الشيخ الفاني ، ويغرى الأمهات المالُ عن الالتفات إلى الضمير فتتعلّل بالشرع ، وتدفع ابنتها إلى الشؤم والحياة المليئة بالأسى والكدر ، فليس هذا من الدين في شئ ، بل أشبه بتجارة الرقيق ، و "ما كان شرع الله بالجزّار":

يا معشر الكتّاب ؛ أين بلاؤكم
أين البيان و صائب الأفكار
أيهمكم عبث ، و ليس يهمّكم
بنيانُ أخلاق بغير جدار
المال حلل كل غير مُحلّل
حتى زواج الشيّب بالأبكار
سَحَرَ القلوب فربّ أم قلبُها
من سحره حجر من الأحجار
دفعتْ بُنيّتها لأشأم مضجع
ورمتْ بها في غربة و إسار
و تعللت بالشرع ، قلتُ : كذبتِه
ما كان شرع الله بالجزار
ما زُوّجت تلكْ الفتاة و إنّما
بيعَ الصّبا والحسنُ بالدينار (٢١٠)

(٢١٠) الشوقيات : ج١ ، ص١٢٩-١٣٠-١٣١ .

www.nidaulhind.com

◆ ٢- النهى عن الخمر والإسراف :

كان من بلايا المدنية الغربية وآثارها السيئة في المجتمع ، شيوع الخمر وإهدار المال في سبيلها ، وخاصة شاع هذا الداء بين أوساط العمّال ، فشوقي في قصيدته : أيها العمال" ينهاهم عن الخمر ، وينصح لهم بالاستقامة نصيحة عابرة ، ثم يدعوهم إلى الادّخار ، ويبيّن لهم نفعه ؛ فيقول :

أيها الغادون كالنحـ
ـل ارتيادا و طلابا
في بكور الطير للرز
ق مجيئا و ذهابا
اطلبوا الحق برفق
و اجعلوا الواجبَ دابا
و استقيموا يفتح اللّـ
ـه لكم بابا فبابا
اهجروا الخمر تطيعوا اللّـ
ـه أو ترضوا الكتابا
إنّها رجسٌ فطوبى
لامرىءٍ كفّ و تابا
إنّما العاقل من يجعـ
ـل للدهر حسابا
فاذكروا يوم مَشيبٍ
فيه تبكون الشبابا
فاجعلوا من مالكم للشيـ
ـب و الضعف نصابا (٢١١)

---

(٢١١) الشوقيات : ج/١ ، ص/٩٠-٩١-٩٢ .

www.nidaulhind.com

♦ ٣- الأصالة و التراث :

كان من شأن أبناء الوطن المثقفين الذين رحلوا إلى الغرب ، ودرسوا فيه ففتنوا ببريق الحضارة ، وظنّوا التحرر والانحلال في العادات والتقاليد ، التحضّرَ والتقدّمَ فعادوا يسخرون بالآباء ، ويعيبون تقاليد المجتمع ، ويسفهون الآراء في الإبقاء على التراث ، وكل ما يتّصل بالقديم ، فينكر شوقي على هؤلاء المتفرنجين ، فيقول :

لا تحذ حذوَ عصابة مفتونة
يجدون كلّ قديم شئ منكرا
و لو استطاعوا في المجامع أنكروا
من مات من آبائهم أو عمّرا
من كلّ ماض في القديم و هدمِه
و إذا تقدّم للبناية قصّرا
و أتى الحضارة بالصناعة رثّةً
و العلم نَزْرا و البيان مُثرثِرا (٢١٢)

♦ ٤- الدعوة إلى التآلف ونبذ الحقد :

عاش شوقي حياته يدين بما يقتضيه الإسلام من الحب ، والصفاء ، وسماحة النفوس ، ونبذ الحقد والعداوة ، ولا يصحّ أن اختلاف الأديان يكون مدعاة إلى عداء وتناحر ، فجميع الأديان السماوية جاءت تدعو إلى الخير ، والنهي عن الشر ، فلا مسوّغ للتباغض والتنافر ، وبغضّ النظر عن اختلاف الأديان ، لابدّ للإنسان أن يجتمع على التصافي والتوادّ ، فإنه كرم في الأخلاق ، و وسيلة إلى السعادة :

(٢١٢) الشوقيات : ج/١ ، ص/١٥١ .

www.nidaulhind.com

الدين لله ، من شاء الإله هدى
لكل نفس هوىً في الدين داعيها
ما كان مختلفُ الأديان داعية
إلى اختلاف البرايا أو تعاديها
الكتب و الرسل و الأديان قاطبة
خزائن الحكمة الكبرى لواعيها
محبة الله أصل في مراشدها
و خشية الله أسّ في مبانيها
و كل خير يلقّى في أوامرها
و كل شرّ يوقى في نواهيها
تسامح النفس معنى من مروءتها
بل المروءة في أسمى معانيها
تخلق الصفحَ تسعدْ في الحياة به
فالنفس يسعدها خلقٌ و يُشقيها (٢١٣)

وهكذا كان شوقي الشاعر الكبير يحتضن قضايا المسلمين ، ويعلى شأن الإسلام ، ويريد الإصلاح على أساس الدين ، ويطرب إذا نال المسلمين الخير ، ويحزن إذا أصابهم الشرّ ، ويحثّهم على النهوض ، ويذكرهم بماضيهم المجيد ، ويريد لهم حياة العزّ والسلطان في ظلّ الإسلام .

ومثل هذا الشمول وتعدّد النواحي الإسلامية ، قد لا نجده عند شاعر إسلامي غير محمد إقبال الذي كان مثلا يحتذي في توظيف عبقريته الشعرية لتقديم رسالة الإسلام أمام الإنسانية الجائرة ؛ لتجد فيها حلاً شاملاً لقضاياها ومشاكلها ، وعلاجاً شافياً لأمراضها وعللها ، ودرباً سالكاً لسلامتها وسعادتها .

(٢١٣) الشوقيات : ج/٢ ، ص/٢٨٩-٢٩٠ .

www.nidaulhind.com

ملامح إسلامية في شعر شوقي ! (٦)

بقلم : الاستاذ محمد نعمة الله محمد ادريس الندوي

◆ الفصل الثالث - شعر شوقي بين المادية والروحية وتحديد شخصيته :

◆ المبحث الأول - القضايا المادية والروحية في شعر شوقي :

بمجرد سرد النظر في ديوان شوقي - ونحن بصدد دراسة شعره الإسلامي - يستوقفنا على ظاهرة غريبة ، فشاعرنا الذي يعالج القضايا الإسلامية كمسلم معتزّ بإسلامه ، عامراً قلبه بالإيمان وصفاء الروح وشفافيتها ، يدعو إلى الجامعة الإسلامية التي يرى فيها قوة المسلمين واجتماع شملهم ، ويرفع صوته بالعويل والنحيب إذا رأى أية دولة إسلامية في خطر تمتد إليها براثن الأعداء الحاقدين . ويأخذه الحزن العميق إذا أصيب أي بلد إسلامي ، ويتعاطف مع أبناء دينه و وطنه كلما ألمت بهم نكبة أو نالتهم أيدي الاستعمار بالقتل والتعذيب ، ويستثير هممهم بقصائده الثائرة فيبعث فيهم الأمل والحماس والقوة لمواجهة الأخطار ، ويحثّ المسلمين على النهوض والرقيّ ، ويتوجّع لما هم فيه من نوم عميق ، فمن كان هذا شأنه أليس من الغريب أن نلمح في ديوانه قصائد تصوِّر وقوعه تحت سيطرة النوازع المادية في بعض الأحيان ، حيث يندفع اندفاعاً إلى شئ من اللهو والخمر ، ويصف المرقص والليالي الراقصة وما تدار فيها من كؤوس الراح . فينهل منها نهلاً ويتغنّى بها ، كأنه رجل دنيا يعبّ من حياته المترفة كؤوساً مترعة (٢١٤) ، وبدل أن نسترسل في هذا الموضوع بحديث

---

(٢١٤) انظر : مقدمة الشوقيات للدكتور محمد حسين هيكل : ٦/١ . شوقي : شعره الإسلامي ، ماهر حسن فهمي : ص/٧١ وما بعدها . الدين والأخلاق في شعر شوقي لعلي النجدي ناصف : ص/٢٧ (ط/٢ ١٩٦٤م ، مكتبة نهضة مصر) .

www.nidaulhind.com

نظري ، علينا أن نأتي بالشواهد من قصائده ما يؤكـد كلامنـا ويثبـت ملاحظتنا .

يقول شوقي في وصف ليلة من الليـالي الراقصـة الـتي كـان يقيمها الخديوي عباس بسراي عابدين ، وما كـان مـن قوامـها الخمـر والعبث ، فيقبل عليها مع المقبلين ويتلذذ ويتغنّى بها :

حـــفَّ كأسَهـــــا الحَبَبُ
فـهــــي فـضـــــة ذهب (٢١٥)

أو دوائـــــــــــــر دررٌ
مــائـــج بــهــــا لَبَب (٢١٦)

أو فـــــم الحبيب ، جــــلا
عـــن جُـمــانه الشنب (٢١٧)

راحـــــة الـنـفـــوس ، و هل
عـنـــد راحــــــة تعب

يـــا نـديـــم خِفّ بـهـــا
لا كبــــابـك الطـــــرب

لـيـلـــــــــة لسيّدنـــــا
فــــي الـــزمـــان ترتقب

فــالقـــــــدود بـــان رُبـــىً
بـيـــد أنـهـــــا تثب

يـلـعـــب الـعـنـــاقُ بها
و هــــو مشفـــق حَـــدِب

(٢١٥) الحبب : الفقاقيع التي تعلوا الخمر . (٢١٦) اللبـب : موضـع القـلادة من الصدر . (٢١٧) الجمان : اللؤلؤ . الغب : عذوبة الأسنان .

www.nidaulhind.com

الرؤوس مـــائـــلـــة
فـــي الصــدور تحتجب
و النـهــود هــامــلة
و الـخــدود تــلـتــهـب
و الخــصــور واهــيــة
بالــبــنــان تــنـجــذب
ســالــتِ الأكفُّ بــهــا
فــهــي أغــضــنٌ نُهــب
و الـمُــدامُ أكــؤُسُهــا
مـــا تـغـيـض و العُلَب (٢١٨)

وفي قصيدة أخرى يتطرق إلى وصف الراقصات الفاتنات؛ فيقول :

تــلــك شمــوس الــدجــى
أم ظَبيــاتُ الخــيَــم
تــقــبــل فــي موكب
شقَّ سنــاه الــظــلــم
مــؤتــلــف سربُــهــا
حيــث تــلاقــى ، الــتــأم
مــنــدفــعــات عــلــى
مخــتــلــفــات الــنــغــم
بــيــن يــدٍ فــي يــدٍ
أو قــدم فــي قــدم

(٢١٨) الشوقيات : ١١،٩٧/٢-١٢، المدام : الخمر، العلب : نوع من الأقداح الضخمة

www.nidaulhind.com

تـذهــب مشـى الـقـطـا
تـرجـــع كـــرّ النسم (٢١٩)

وكان لشاعرنا حظ غير قليـل في التغزل بالغانيـات ، يتنقـل بينهن من واحدة إلى أخرى ، كأنّه ينقل فـؤاده حيـث وجـد الجمـال ، ويتابع سيره أينما سار : فتلك هي ظبيـات جزيـرة مـن الجـزر يحدثنـا عنهن في غزلياته :

يخطُرنَ فـــي ساح القلوب عواليا
و يملن فـــي مرأى العيون غصونا
عارضتُهن ولِي فـــؤاد عُرضـــة
يهـــوى الجآذر دان فيــــه و دينا
فنظـــرن لا يدرين : أذهب يَسرة
فيحِدنَ عنّـــي أم أميل يمينـــا
فجمعتُهن إلـــى الحديث بدأتُه
فغضبن ثــم أعـدتــه فرضينـــا
و سمعت من أهـــوى تقول لتربها
أحـــرى بأحمــد أن يكون رزينا
قالت : أراه عند غـــاية وجــده
فلعـــلّ ليلى ترحم المجنونا (٢٢٠)

ونراه ينتقل من نقيض إلى نقيـض فـهو في فـرح وسـرور ، إذ تولّى رمضان بما كان فيه حرمان من الراح :

رمضانُ ولّى هاتهـــا يا ساقـــي
مشتاقةً تسعـــى إلى مشتاق (٢٢١)

---

(٢١٩) الشوقيات : ٢/٩٣-٩٤. (٢٢٠) الشوقيات : ٢/١٤٠. (٢٢١) الشوقيات : ٢/٧٧.

www.nidaulhind.com

يتبيّن لنا من هذا كله أن شاعرنا يتمثّل في بعض شعره، محبّاً للحياة العابثة راغباً في اللهو والمتاع. ولكن الذي يثير الغرابة والعجب بأنه في أكثر أبياته وقصائده - كما قلنا - يظهر أمامنا في صورة رجل متديّن تغلغل الإيمان في شغاف قلبه. فقلّ أن تخلو له قصيدة من تلميحات دينية مختلفة (٢٢٢). يهتم بقضايا الدين ويتمنّى للمسلمين العزّة والبأس، وينشأ المدائح النبوية تقديراً وحباً للرسول الكريم ﷺ و وصفاً لخصائص الإسلام، صادراً عن العاطفة الدينية الجيّاشة، بل نجده في شعره الديني زاهداً متنسّكاً يتقرّب إلى الله بدعائه وكثرة تسبيحه، ويستغفره ويتوب إليه خاشعاً متذللاً:

ربّنا يا ذا التجلي و الجلال
يا خفيّ اللطف يا رب النوال
ربّنا اللّهم جنّبنا الذنوب
و اهدنا الحكمة في كلّ الفعال
ربّنا اللّهم أصلح شأننا
و أقم في نفعنا حكّامنا
ربّنا و احفظ بنا أوطاننا
و اجعل الملّة في أوج الكمال (٢٢٣)

ويقول:

إلهي قد أتيتك قبل نومي
مقرّاً بالإساءة طول يومي

(٢٢٢) انظر: تاريخ الشعر العربي الحديث، أحمد قبش: ص/٧٩ (مكتب دمشق للتوزيع).

(٢٢٣) الشوقيات: ص/١٠، ط/١٩١١م، نقلاً عن شوقي شعره الإسلامي: ص/٧٨-٧٩.

www.nidaulhind.com

إلهي إن ظلمت و إن كذبت
و إنْ يوماً بلا سبب غضبت
فإنّي يا غفورُ إليك تبت
و إنّك أكرم المتجاوزينا (٢٢٤)

هاتان القطعتان قيلتا لتربية صغار أبناء الأمة ، إذ بترديدهم لهذا الدعاء يتربّون على الفضيلة إلا أنه لا يخفى ما يستشري فيهما الصفاء الروحي المشرق ، وفي مواضع كثيرة يعبّر عن زهده في الدنيا ، فهذه الدنيا سراب وخداع ، لذّاتها فانية ، وكلّ حيّ فيها غايته التراب والفناء ، فقال في رثاء يعقوب صروف وهو معدود في طليعة الكتّاب والعلماء الذين تشار إليهم بالبنان :

سماؤكِ يا دنيا خداع سراب
و أرضكِ عمرانٌ وشيكُ خراب
و ما أنتِ إلا جيفةٌ طال حولها
قيامُ ضباع أو قعودُ ذئاب
و كلّ أخ عيش و إن طال عيشه
ترابٌ لعمر الموت و ابن تراب (٢٢٥)

إذن توصلنا هذه الشواهد وما قدّمناه في الفصل الثاني بأكمله إلى أن شوقي لم يكن شاعر دين فقط ، بل نلقاه متمتّعاً بنعيم الحياة ومتاعها ، فما هي الأسباب التي دفعته إلى هذين الاتجاهين ؟ وهل شخصيته مزدوجة بهذين التيارين أو الصورتين ؟ وتصدران عنها وهي في كل قوّتها أم تسيطر على إحداهما فتتغطّى الأخرى ؟

فلنتطرّق لجواب هذه الأسئلة إلى مبحث آخر .

---

(٢٢٤) نفس المصدر : ص/١٧ . (٢٢٥) الشوقيات : ٣٢،٢٩/٣ .

www.nidaulhind.com

ملامح إسلامية في شعر شوقي !

(٧)

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

◆ المبحث الثاني – أسباب هذا الاتجاهين : المادي والروحي من خلال آراء النقاد !

نظر الدكتور محمد حسين هيكل إلى شعر شوقي فوجده على لونين : لون يشتمل على خمر ، ولذة ، وخلاعة ، و لون يحتوي على دين ، وحكمة ، وحفاظ على الإسلام ، فانتهى به هذا النظر إلى الحكم على شوقي بازدواج شخصيته ، إذ يقول في مقدمة "الشوقيات" : "وإنك تكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه ، كأنك أمام رجلين مختلفين جدّ الاختلاف ، لا صلة بينهما ، إلا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر إلى عليا سماواته ، وأن كليهما مصري يبلغ حبّه لمصر حد التقديس والعبادة ... أما فيما سوى هذا ، فأحد الرجلين غير الرجل الآخر : أحدهما مؤمن عامر النفس بالإيمان ، مسلم يقدّس أخوّة المسلمين ، ويجعل من دولة الخلافة قدساً تفيض عليه شئونه وحوادثه وحي الشعر وإلهامه ، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها ، والآخر رجل دنيا يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها ، وهذا الازدواج ظاهر في شعر شوقي من أول شبابه إلى هذا الوقت الحاضر ... ففي شعره صورتان من صور الحياة ، تقوم كلّ منهما مستقلة كأنما صاحبها غير الآخر ، فأنت تقرأ :

حــفّ كأسهـــا الحبـــب

فهـــي فـــضـــة ذهـــب

... فتراك في حضرة شاعر مغرم بالحياة وبمتاعها ونعمتها، شاعر تختلف روحه جدّ الاختلاف عن صاحب نهج البردة التي مطلعها :

www.nidaulhind.com

ريم على القاع بين البـــان و العلم
أحلّ سفك دمي فـــي الأشهر الحرم

... وهـذان الروحـان أوهاتـان الصورتـان مـن صـور الحيـاة تتجـاوران في نفـس شـوقي وتصـدران عنـها وهـي في كـل قوتـها وسلطانها (٢٢٦) .

ثم يعلل هذا الازدواج مبيّناً "أن شـوقي كـان في طبع شـبابه رسول الحياة ، فلمّا بعـث إلى أوربـا ، وأتم تعليمـه هنـاك ، ثـمّ عـاد ، فاتصل الشاعر الشاب بالأمير الشاب عبـاس حلمـي باشـا ، وكـانت عواطفه متّفقة وعواطف المسلمين الذين كانوا بعد انتصار الأتراك يـرون في الخليفة الموئل الأخير لأمم الإسلام جميعاً ، فحتّم ذلك - كون شوقي كلمة الأمير - عليه ، أن يكون المعبّر عـن الميـول والآمـال الكمينـة في نفوس المسلمين جميعاً ، لا في نفوس المصريين وحدهـم ، وبذلـك اجتمـع في نفسه من أول حياته ، ميله للحياة وحبّه إياها وحرصه علـى المتـاع بها ، مع إيمان المسلمين جميعاً وحرصهم على وحدتهم وعلـى كيانـهم بإزاء الأمم الغربية التي تنظر إليهم بعين صليبية بحتـة ، وكـانت هـذه الناحية التي تمثلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به ، أكـثر استيحاء لشعره من الناحية الأولى التي هي طبيعة نفسه" (٢٢٧) .

ولكنه يناقض بنفسه دعوى الازدواج - كمـا يلاحـظ الدكتـور الحوفي - إذ قـال مـا خلاصتـه : إن شـوقي كـان جامعـاً في نفسـه بـين الاستمتاع بالحياة وميله إلى التعبير عن آمال المسلمين وميولهـم ، وهـو في هذا الميل المتأثر بظروف حياته وبيئتـه أكـثر اسـتيحاء لشـعره مـن

(٢٢٦) مقدمة الشوقيات ج/١ ، ص/٦-٨ (مختصراً) .

(٢٢٧) مقدمة الشوقيات : ج/١ ، ص/٨-٩ (مختصراً) .

www.nidaulhind.com

الميل الأول النابع من نفسه ، وقد مرّ بنا أنه يقــرّر بـأن شــوقي شـاعر مطبوع يصل من الشعر عليا سماواته ، ولم يفرّق بين شــعره الديــني أو اللاهي ، فمعناه أن شعره الديني يستوحي عواطف المسـلمين المتفقـين مع الخديوي في عواطفه نحو الخلافة ، وكان أكـثر توفيقـاً في اسـتيحائه من هذا الينبوع بالنسبة لاستمداده من ذات نفسه ، وهل من الطبيعي أن يصل الشاعر بشعره إلى عليا سماواته ولا يستمد من ذات نفسه ؟

ولو كان شعره ترجمة عن عواطف الآخرين ليتســم بـالتكلف والزيـف وبرود العاطفة ، وظهر لنا من شعره الديــني أنـه تعبـير عـن عواطف جياشة قوية ، وتصوير لمـا يـدور في خلـده وبحسّـه ، ويكفينـا دليلاً على صدق شـعوره وجيشـان عاطفتـه ، أن كـان يعضـد الخلافـة الإسـلامية ، ويمـدح الخليفـة حرصـاً منـه علـى التئـام شمـل المسـلمين واجتماع كلمتهم ، أمـلا في الله الرضـا والثـواب وحسـن الجـزاء ، لا طمعاً في هبات الخليفة أو مداراة للخديوي والناس :

عـهــد الخــلافـــة فــيّ أولُ ذائدٍ
عـن حوضهـــا ببـــراعـــة نضّــاح
حبٌّ لـــذات الله كان ، و لم يـــزل
و هوىً لذات الحق و الإصلاح (٢٢٨)

ويقول مخاطباً للخليفة :

زهدتُ الذي في راحتيك و شاقنـــي
جـــوائــزُ عنـــد الله مبتغيـــاتُ
و مــن كان مثلي أحمدَ الوقتِ ؛ لم تجُزْ
عليه - و لو من مثلك - الصدقات (٢٢٩)

---

(٢٢٨) الشوقيات : ج/١ ، ص/١٠٨ . (٢٢٩) الشوقيات : ج/١ ، ص/٩٧ .

www.nidaulhind.com

فمن كان هذا شأنه ، كيف لا يكون شعره عن التدين والإيمان نابعاً من قلبه ، بل ممالأة للخديوي والناس ؟؟؟ ويفسر الدكتور شوقي ضيف ظاهرة هذين الاتجاهين : الروحي والمادي في شعر شوقي راداً على الدكتور هيكل بأن له حياتين : الفردية والاجتماعية ، وهذا طبيعي في الفنّان والناس جميعاً ، فاللهو واللذّة خاصّان بحياته الفردية ، وما بعد ذلك فيختص بحياته الاجتماعية ، فيقول : "فليس هنا تعدّد في شخصيته ، وإنّما هي حياته الفردية وما يتصل بها من لذة ومتاع وحرية ، وحياته الاجتماعية وما يتصل بها من القصر والخديوي والجمهور ونزعاته" (٢٣٠) ويقول في موضع آخر : "فهو في منزله وحياته الخاصة يشبع مزاجه وميوله ، وهو في القصر والحياة الاجتماعية يشبع مزاج أميره وذوقه ، ويحاول أن يكسب مزاج الجمهور وذوقه ، فيؤلف له أغاني وأناشيد في تاريخه ونيله ، أو في الخلافة والإسلام أو في مدائح الرسول الكريم ﷺ" (٢٣١) .

لكنّ الدكتور شوقي بهذا التحليل لشخصية شوقي ، أنكر الصدق العاطفي في شعره الديني ، فما كان ينشئ القصائد في الإسلام أو الخلافة أو المدائح النبوية إلا لإرضاء الجمهور وكسب مزاجه ، وفعلاً قد صرّح بذلك في مكان آخر : "فهذا الشعر الديني وهذا النغم الإسلامي الذي يطربنا عنده ، والذي نزعم أن لا يغنّي فيه نفسه ولا عواطفه أولاً ، إنّما يغني عواطف المسلمين قبل كل شئ ، لم يُتح لشاعر امتلأ بالعواطف الدينية الإسلامية ممّن عاصروه أن يبلغ مبلغه فيه أو يتفوّق عليه (٢٣٢) .

---

(٢٣٠) شوقي ضيف : شوقي شاعر العصر الحديث : ص/٣٠ .
(٢٣١) نفس المصدر : ص/٢٨ .
(٢٣٢) نفس المصدر : ص/١٢٩ .

www.nidaulhind.com

وهذا الحكم خطير؛ إذ يستلزم إنكار أصالته في الشعر الديني، وصدق إحساسه في معالجته للقضايا الإسلامية، وهذا مردود بما بينّاه وبما سنتعرض له في المبحث الآتي، ثمّ على حد قوله ليس من المعقول أن يكون شوقي متكلّفاً متصنعاً والمرأة العاكسة لعواطف الجمهور، ومع هذا يبزّ قرناءه ومعاصريه من الشعراء الذين امتلأوا بالعواطف الدينية؛ لأن معناه أن يُفضّل الشعر المصطنع على الشعر النابع من القلب، ويعترف بأسبقية كاذب الشعور على صادق الشعور، أما ما يسوقه الدليل على إرادته الجمهور في شعره الديني، اعتنائه بالمسيحية؛ لأن من قرّائه مسيحيين أيضاً، فهذا أيضاً مرفوض؛ إذ إشادته بالمسيح لم يكن لاستمالة المسيحيين بل لاعتقاده من حيث كونه مسلماً أن الإيمان لا يكتمل إلا بالتصديق بالمسيح، قال الله ﷻ:

﴿ قُلْ: آمَنَّا بِاللهِ * وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا * وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَالأَسْبَاطَ * وَمَا أُوْتِيَ مُوْسَى وَعِيْسَى * وَالنَّبِيُّوْنَ مِنْ رَبِّهِمْ * لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ * وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ ﴾ (٢٣٣).

بالإضافة إلى ذلك، نراه ينتقد انتقاداً شديداً هؤلاء الصليبيين؛ إذ ملؤوا الأرض فساداً، و وضعوا السيف في عباد الله اليوم تقتيلاً وتشريداً في دول البلقان، كما فعلوا بالأمس أكثر من مرة، فيقول مخاطباً عيسى عليه السلام:

و اليوم يهتف بالصليب عصائب
هم للإله و روحه ظلام
خلطوا صليبك و الخناجر و المُدى
كلٌ أداةٌ للأذى و حمام

(٢٣٣) آل عمران/٨٤، وراجع للتفصيل في رد هذا الزعم وأمثاله كتاب الدكتور محمد الحوفي: الاتجاه الروحي في شعر شوقي: ص/٢١ وما بعدها.

www.nidaulhind.com

أو مـــا تراهم ذبّحوا جيــــــرانهم
بين البيـــــوت كأنهم أغنـــام (٢٣٤)

واسترسل على هذا المنوال في أبيات كثيرة ، أما الدكتور محمد محمد حسين والدكتور ماهر حسن فهمي ، والأستاذ علي النجدي ناصف فكلهم متفقون تقريباً على أن هذا التردد بين المادية والروحية في شعر شوقي من آثار طابع ذلك العصر (٢٣٥) ، فهذا التردد ، هو الطابع العام لنفسية الأفراد في فترات النقلات الاجتماعية ، وكان عصر شوقي عصر نقلة اجتماعية وثقافية وسياسية ، كما فصّلنا من قبل في الفصل الأول (٢٣٦) ، فالحضارة الغربيــة مـع قيمـها وتقاليدهـا ومواصفاتها الاجتماعية وأفكارها المادية وثقافتها اللادينية كانت تنقل البلاد الإسلامية عامة ومصر خاصة ، عن حضارة إسلامية إلى حضارة طابعها العام الإقبال على الدنيا ، فكان من أهم ما يميّز هذا العصر عن غيره "تأثير مدنية أوربا عليه" (٢٣٧) ، لذلك نشأ الصراع بين المجددين والمحافظين ، وقد مرّ بنا ، أو بعبارة أخرى : "كان هناك احتكاك في الأمة الواحدة بين طائفتين ومدنيتين وعقليتين" (٢٣٨) ، فهذا الصراع أو الاحتكاك أثر في حياة الناس ، فجعلهم يتردّدون بين المحافظة على القديم أو الإقدام على الأخذ بالجديد ، فمُنوا بالتناقض الذي بدأ من قصر الخديوي عباس ، وسرى منه إلى بيوت الأغنياء والمترفين.

فشوقي مسلم مؤمن وشاعر متصف برقة الشعور ودقة

---

(٢٣٤) الشوقيات : ج/٧ ، ص/٢٣٤ . (٢٣٥) انظر : الاتجاهات الوطنية : ص/٢٥٥-٢٥٦، وشوقي شعره الإسلامي : ص/٩٧، ١٠١، والدين والأخلاق في شعر شوقي : ص/١٩ .

(٢٣٦) انظر ص/١٣. (٢٣٧) تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجي زيدان : ج/٤ ، ص/١٥.

(٢٣٨) قصة الآداب في العالم : لأحمد أمين وزكي نجيب محفوظ ٣/٢٨٣-٢٨٤ (مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م) .

www.nidaulhind.com

الإحساس وسرعة التأثر ، فتعرض له مغريـات المتعـة واللـهو فيفقـد الزمام أمام اللذة ، كمـا تعـرض لـه دواعـي الإنابـة والزهـد فيأخذه التدين ويثوب إلى صوابه ، ويبكي ويندم على مـا اقـترف ، "فوضـح أثر هذا التناقض في شعر شـوقي شـاعر القصـر ، فتجـاور في ديوانـه وصف المرقص والخمـر مـع مدائـح الرسـول الكريـم عليـه الصـلاة والسلام وتمجيد الإسلام" (٢٣٩)ويؤكد هـذا المعنى الدكتـور الحـوفي فيقول : "والحق أن شوقي كان شـأنه الـترجح بـين اللـهو والتديـن ، شأن كثير من الناس تعرض لهم أحيانا دواعي الحيـاة فيضعفـون عـن مقاومتها ، ثم لا يلبث أن يعاوده إيمانه وتغلب تقواه لهوه فيندم على ما اقترف" (٢٤٠) .

وبقي لنا كلمة أخيرة بهذا الصدد ، وهـي أن شـعره اللاهـي لا ينبـئ عن إغراقه في المجون ، وكما يظهر أنه يقصد بـه إظـهارا لبراعـة أكـثر من أن يريد تصوير عواطفـه ، ولذلـك شـعره اللاهـي لم يسـتطع أن ينافس شعره الديني فـي الكثرة ، فقـال الدكتور شوقي ضيف منصفـا له : "فما في ديوانه عن لذته ومتاعـه قليـل قلـة شـديدة" ، ويضيـف قائلا : "يغلو هيكل حين يقيم المجموعتين من الحيـاة أو مـن الخصـال متوازيتين مستقلتين ، فإن الخصال الماجنة لا تكاد تظهر عند شوقي إلا ظهورا باهتا ضئيلا بخيلا" (٢٤١) .

أما شربه للخمر ، فكما يبدو من مطالعة حياته لم يكن إدمانـا عليه ، بل يمكن أن يرجع - تحت تأثير العصر والقصر - إلى ضعف في العزيمة والإيمان أمام مغريات الحضارة الغربية القريبـة العـهد بالعـالم

(٢٣٩) الاتجاهات الوطنية : ص/٢٥٦ .

(٢٤٠) الاتجاه الروحي في شعر شوقي : ص/١٧ .

(٢٤١) شوقي شاعر العصر الحديث : ص/٣٠-٣١ .

www.nidaulhind.com

الإسلامي ، فعندما كانت تنازعه نفسه وتدعوه إلى العفة والأخلاق ، كان يدعي أنه لا يخرج عن حدودهما عند شربه ، فيقول في القصيدة التي وصف فيها الخمر :

لا تقل : عواقبها
فالعواقب الأدب
تنجلي ولي خلق
ينجلي و ينسكب (٢٤٢)

وما يتعلق بغزله فليس فيه إفحاش ولا مجون ، بل ليس من التعسف أن نجاري مجاراة من قال : إن غزله متكلف بارد العواطف (٢٤٣) ، وقال أحمد قبش : أما الغزل فقد نظم فيه شوقي ولكن المرأة لم تملأ في قلب الشاعر فراغا كبيرا (٢٤٤) ، ومهما كان من الأمر ، فلا ينتهي قوله إلى التهتر والخلاعة ، وهو القائل :

و علينا من العفاف رقيب
تعبث في مراسه الأهواء (٢٤٥)

وما دام غزله لا يتجاوز حدود العفة ، فلا يتنافى مع شعره الديني ، كما نعرف عند كثير من الشعراء الإسلاميين كحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، والبوصيري ، اللذين بدؤوا مدائحهم النبوية بتقديم الغزل (٢٤٦) .

---

(٢٤٢) الشوقيات : ٩/٢ .

(٢٤٣) انظر : في الأدب الحديث : لعمر الدسوقي : ج/٢ ، ص/٣٣٦ .

(٢٤٤) انظر : تاريخ الشعر العربي ص/٧٧ .

(٢٤٥) الشوقيات : ج/٢ ، ص/١١٢ .

(٢٤٦) انظر : لمعرفة العناصر في قصائد حسان وكعب : العصر الإسلامي : د/شوقي ضيف : ص/٧٧ ، ٨٨ ، (دار المعارف بمصر - الطبعة السابعة) .

www.nidaulhind.com

يا مصطفـــى البلغـــاء أيّ يراعه
فقـــدوا ؟ و أي معلـــم بيـــراع

سكن الأحبة و العدى و فرغت من
حقد الخصوم و من هـــوى الأشياع

كـــم غـــارة شنوا عليـــه دفعتهـــا
تصـــل الجهـــود فكن خير دفـــاع

و الجـــبن فـــي قلب البليغ نظيره
في السيف منقصة وسوء سماع (١٠)

◆ أسلوب المنفلوطي الأدبي بين عرض ونقد :

نحن نعلم جيداً أن الفضل في بعث النهضة النثريـة يعـود إلى براعة المنفلوطي وأسلوبه الجديد الذي عالج حياة الإنسان ، وعـبر عـن أحاسيسهم وميولهم ونزواتـهم ، وكـان أسلوبه عاريـاً عـن التكلـف والصنعة التي تحجب المعنـى المنشـود وتكبلـه ، فمـلأ الدنيـا وشـغل الناس فوجدوا في كتاباته غذاءهم الأدبي ورأوا أنفســهم في مقالاتـه ، ومشكلاتهم في موضوعاته وآمالهم في خواطره فـأقبلوا عليـه بـالقراءة وتلقوه بالقبول (١١) . (يتبع)

(١٠) أحمد شوقي : الشوقيات ، الجزء الثالث ، بدون تاريخ ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان : ص/٧٤-٧٦ .

(١١) د/عباس عجلان : المنفلوطي والنظرات ، بـدون تـاريخ ، الناشـر مؤسسـة شباب الجماعة للطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية في مصر : ص/٥٩ .

www.nidaulhind.com

ملامح إسلامية في شعر شوقي ! (٨)

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

◆ المبحث الثالث – شخصيته وازدهار الاتجاه الروحي في شعره :

اتضح لنا مما سبق أن شخصية شوقي غير مزدوجة كما ادُّعي عليه، ويصدر في قصائده الدينية عن عاطفة صادقة، وإحساس نابع من القلب، وما قاله في اللهو فبحكمه طابع عصره وظروف عمله في القصر، ثم هو قليل جداً إلى جانب شعره الديني الذي قرضه في فترات طوال من حياته، بل كان كالفقاعات تظهر على صفحة النهر هنا وهناك، ثمّ لا تلبث أن تتوارى في الفيض الزاخر، إذن كان شاعراً مسلماً متديّناً يؤمن إيمان من لا يداخله شك – وسنسوق الأدلة على تديّنه بعد قليل – يلمّ بالأمور الدينية ومشاكل المسلمين كمن يعايشها ويعانيها معانة حقيقة، يتقطّع قلبه ألماً على اقتطاع الأعداء للممتلكات العثمانية وسقوطها على أيديهم الغاشمة واحدة تلو أخرى، كما بكى على مجد الإسلام الزائل في الأندلس بكاء أبي البقاء الرندي والعلامة محمد إقبال عليه، ويعتوره الحزن والأسى على ما يرى انفراط عقد الدول الإسلامية، وانصراف المسلمين عن واجبهم إلى سبات عميق، وتأخذه الأنفة والغيرة الدينية إذا مسّ الاستعمار الصليبي بسوء أبناء الإسلام في أيّ قطر كان، ويرفع صوته بالتنديد والاستنكار، واستنهاض الهمم للتخلّص من الواقع الأليم، بدافع من العقيدة والإيمان الحقيقي كما نلاحظ روحانيته متمثلاً : "في الإشادة بفضل الدين وإجلال آدابه، والتغني بأيامه، وامتداح رسوله الكريم والصفوة الممتازة من أبطال المسلمين، ثمّ في إكبار الفضائل

www.nidaulhind.com

النفسية والدعوة إليها كلما واتت مناسبة أو دعت داعية" (٢٤٧) .

يقول أحد النقاد : "كان شوقي شـديد الغـيرة علـى دينـه ، لا يدع فرصة تمرّ دون أن يذكر قومه بمجد الإسلام وبفضائله ، حتـى لقـد يخيل إليك وأنت تقرأ همزيته النبوية أو بائيته في "ذكرى المولـد" أو تائيته "إلى عرفـات الله" أو حائيتـه في "خلافـة الإسـلام" أو ميميتـه "نهج البردة" أنك أمام عاطفة دينية يجيش بها صدر الشـاعر وعقيـدة راسخة تتمكن من قلبه وتحتل جوارحه ، بل لقد يخيـل إليـك وأنـت تقرأ تلك الدرر الغالية أنك تستمع إلى أحد أئمـة الديـن ، يدعـوك إلى احترام الدين ، والتمسك بفضائله ، والعمل على إحيائـه" (٢٤٨)

ويقول آخر : "ومن أظهر مميّزات شوقي - بل لعلّها المـيزة الكـبرى - أنه كان رجلاً إسلامياً يوجّه نفسه إلى ما يذيـع مـن فضـائل الإسـلام ويزيد في حقائقه السامية توضيحاً وتنويهاً ، فلقـد كـان رحمـه الله مـن أولئك البناة الذين شيّدوا في قلوب الجماهير الشـرقية صرحـاً رفيعـاً من حب الإسلام وتقدير الرسول ، وهذه القصائد التي كـان ينظمـها في مدح النبي الكريم ﷺ هل استطاع واحـد مـن شـعراء الإسـلام أن ينتج خيراً منها ؟ ... اللهم لا" (٢٤٩) .

هذه الأقوال وإن كانت لا تخلو من الغلو ، ولكنه لا ينكـر مـا فيها من دلالة على نبوغ شوقي ، وروحانيته ، وحبّه العميـق للديـن ،

---

(٢٤٧) الدين والأخـلاق في شـعر شـوقي : لعلـي النجـدي نـاصف : ص/١٧ ، وانظر : من أدبنا المعاصر : الدكتور مصطفى محمود يونس : ص/١٢٧ .

(٢٤٨) الهلال نوفمبر ١٩٣٢م : ص/٢٢ نقلاً عن شوقي : شعره الإسلامي : ص/٨٢ .

(٢٤٩) شوقي : لعبد العزيز الإسلامبولي (المعرفة ، أول نوفمبر ١٩٣١م : ص/٧٧٥) نقلاً عن شوقي : شعره الإسلامي : ص/٨٢ .

www.nidaulhind.com

فما سرّ هذه الروحانية وازدهارها في شعره وما أسبابها ؟ يمكن أن نلخّصها فيما يأتي :

١ - تدينه : كان منذ شبابه إلى نهاية حياته راسخ العقيدة ، حفيّاً بالدين ، على الرغم مما يؤخذ عليه أن بعض أبياته تخالف العقيدة السليمة وتعاليم الإسلام الصحيحة ، والمظاهر الدالة على تديّنه كثيرة :

فإلى جانب مدائحه النبوية وما فيها من التنويه بمزايا الإسلام ، وترحيبه بالهلال والعلم الهجري ، والإشادة بمجد الإسلام وعظمته في قصائد كثيرة ، منها : "كبار الحوادث في وادي النيل" ، و نظم أرجوزته : "دول العرب وعظماء الإسلام" في بكله الخلافة ؛ ثار ثورة عنيفة ، وحمل على حاكم مكة حملة شديدة عندما تعرّض الحجّاج للسلب والأذى ، وحرّض الخليفة على محاربته ؛ إذ لم يستطع أن يجعل طريق ركن من أركان الإسلام مأموناً .

ويدلّ على حبّه للدين وتعلّقه به ، ما يحدّثه إلينا شوقي الشاب الذي يجلّ الإسلام ، ويستعيذ بالله أن يضارّ الإسلام به فتيلاً ، قال شوقي : "حدثني سيد ندماء هذا العصر المرحوم الشيخ علي الليثي ؛ قال : لقيت أباك وأنت حمل لم يوضع بعد ، فقصّ عليّ حلماً رآه في نومه ، فقلت له وأنا أمازحه : ليولدنّ لك ولد يخرق كما تقول العامة خرقاً في الإسلام ، ثم اتفق أن عدت الشيخ في مرض الموت ، وكانت في يده نسخة من جريدة الأهرام ، فابتدر خطابي يقول : هذا تأويل رؤيا أبيك ، فوالله ما قالها قبل في الإسلام أحد ، قلت : وما تلك يا مولاي ؟ قال : قصيدتك في وصف البال التي تقول في مطلعها :

www.nidaulhind.com

حفَّ كأسهـــا الحبب
فهـــي فضـــة ذهـب

وما هي في يدي أقرأها ، فاستعذت بالله ، وقلت : الحمد لله الذي جعل هذه هي "الخرق" ، ولم يضرّ بي الإسلام فتيلاً" (٢٥٠) .

وكان يهشّ ويعجب أن يلقب بشاعر الإسلام أكثر من لقبه أمير الشعراء ، إذا كان يلقبه صاحب مجلة : "المعرفة" بشاعر الشرق والإسلام ، فلمّا لقيه قال : "هذا أحب إليّ مما يطلقه عليّ الصحفيون ، وأتمنى أن أكون شاعر الإسلام حقاً" (٢٥١) .

وهناك وقائع أخرى تدلّ على قلة علمه بمسائل العقيدة ، ونزعته الصوفية ؛ لعدم تمكّنه من علوم الدين ، ولكنّها في نفس الوقت تشير إلى اعتماده على الله ، وصلته القوية بدينه ، فإنه يعود من منفاه في الأندلس فيجد منزله سالمًا لم يمسّ بسوء ، فينسب الحماية إلى بركة لوحة مكتوب عليها كلمة التوحيد : "لا إله إلا الله محمد رسول الله" كانت معلقة على مدخل البيت ، فينقلها إلى بيته الجديد (٢٥٢) .

والحقّ أن البركة ليست في هذه اللوحة ، ولا تعليقها من الدين في شئ ، وإنّما البركة تجلب بتحقيق كلمة التوحيد في الاعتقاد والقول والعمل ، ثمّ لا يتبرّك إلا بما دلّ عليه دليل من الكتاب أو

---

(٢٥٠) مقدمة الشوقيات : طبعة ١٩١١م : ص/١٥ نقلاً عن الاتجاه الروحي في شعر شوقي : ص/٧ .

(٢٥١) مجلة "المعرفة" : نوفمبر ١٩٣٢م .

(٢٥٢) انظر : أبي شوقي : لحسين شوقي : ص/٩٦ مختصراً من الاتجاه الروحي في شعر شوقي : ص/٨ .

www.nidaulhind.com

السنة ، وكذلك كان معجباً بكتب الغزالي المشتملة على الفلسفة الإسلامية والتصوف ، ويعترف بأنه يجد في دراسة التصوف لذة روحية بالغة الأثر (٢٥٣) .

ومن المعلوم أن العقائد الصوفية الباطلة لا يقرّها الشرع الحنيف ، وإن كان صاحبها الغزالي على غزارة علمه وجلالة قدره .

٢- تعلّقه بالخليفة عبد الحميد بوازع الدين والنسب ، ثم إعجابه بدعوته "الجامعة الإسلامية" : فيمدح الخليفة ويفرح بنصر الترك ، ويشجّعهم بكل ما يملك من جهد وفن ، ويرجع ذلك إلى أن الخليفة كان حينئذٍ محط آمال المسلمين ، وجامعاً لشملهم ودافعاً عن الإسلام ، ذائداً عن حوضهم وما نزل بهم من ضرّ وخطب ، كما عبر عن مشاعرهم الشعراء المعاصرون (٢٥٤) ، فكان طبيعياً أن يتعلّق الشاعر أحمد شوقي بالخليفة والترك ، والذي زاد هذه العلاقة قوة وصلة ، وجود رابط وثيق آخر وهو ما كان يجري في عروقه دم تركي ، ولذلك كانت قصائده التركية هي أقوى قصائده عن الحوادث وأصدقها حسّاً وعاطفة (٢٥٥) ، كما زاده تعلقاً بالخليفة والخلافة لما وجد في دعوة الجامعة الإسلامية هوى نفسه ؛ إذ كان يحرص - كما قلنا - على اتحاد المسلمين ، وإعلاء راية الإسلام ، فكان يدعو إلى التمسك بعراها والاجتماع تحت ظل الخلافة (٢٥٦) .

(٢٥٣) مجلة "المعرفة" : نوفمبر ١٩٣٢م .

(٢٥٤) انظر : الاتجاهات الوطنية : ص/١٩-٢٠،٢٨ وما بعدها ، وشوقي : شعره الإسلامي : ص/٤٢ ، ومقدمة الدكتور هيكل للشوقيات : ص/١٤ .

(٢٥٥) مقدمة الدكتور هيكل للشوقيات : ص/١٤ .

(٢٥٦) انظر: الاتجاهات الوطنية : ص/٣٢ وما بعدها ، وشوقي وشعره الإسلامي : ص/٤٣-٤٤،١٢٩ .

www.nidaulhind.com

٣- تأثره بالحركات الإصلاحية : إذ كانت البلاد الإسلامية ومنها مصر تعاني مع الضعف السياسي من الجهل والفقر والتخلف الاجتماعي والاقتصادي ، والخضوع للخرافات والأوهام ، والبعد عن روح الإسلام وتعاليمه الصحيحة ، فقام أصحاب هذه الحركات أمثال جمال الدين ، ومحمد عبده وغيرهما بحث المسلمين على الكفاح ، والإقالة من عثرتهم ، والرجوع إلى الفهم الصحيح للدين بنبذ الأباطيل التي رانت على قلوبهم ، ومقاومة الاحتلال الذي يمتصّ دمائهم ، وكان شوقي معتزاً بدينه ، غيّوراً عليه ، فيؤلمه تخلف المسلمين ، وانحطاط قوتهم ومجدهم ، وضعفهم عن الأخذ بأسباب القوة والعزة ، وأن يرى ديارهم محتلة ، والإسلام محارب ، وأمره معتل ؛ فيحزّ ذلك في نفسه ، ويبعث على أن يصيح بالمسلمين للنهوض من غفلتهم واستعادة مجدهم (٢٥٧) .

٤- كما كان في بعث روحانيته عامل مؤثر أو على الأقل له اعتبار وعمل في توجيها : كونه قويّ الإحساس ، شديد الشعور ، فياض البيان ، يعي أحداث الحياة قريبها و بعيدها ، و يتأثر بهذه وتلك ، فكان يستعرضها ويستمد فيضه منها ، ولا شك أن عصره مضى بالأمور الجسام التي تهم الإسلام والمسلمين .

هذه هي أهم العوامل التي لفتت نظري أثناء دراسة حياته وشعره ، والتي أثرت في توجيهه وشدّ انتباهه إلى الاتجاه الإسلامي ، فكثر فيه شعره ، وشمل أهم جوانبه ، ومما لا شك أن هناك عوامل أخرى ربما يجدها الباحث عندما يتعمّق في غضون حياته وشعره ، فما أردت بذلك الاستيعاب بل الإلم بالأهم .

(٢٥٧) انظر : الدكتور أحمد شوقي : الاتجاه الإسلامي في شعر شوقي .

www.nidaulhind.com

ملامح إسلامية في شعر شوقي !

(٩/الأخيرة)

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

◆ قيمة شعر شوقي الإسلامي :

بعد هذه الجولة السريعة في شعر شوقي الإسلامي نود أن نلقي نظرة عابرة على قيمته الموضوعية والفنية ، حتى تتضح لنا جوانبه الإبداعية المضيئة التي ربما ستزيدنا اطمئناناً على صدق تجربته وشعوره ، وحسن ولائه لدينه وأمته ، وعمق تفاعله مع أفكاره وتوجهاته .

فما لا ريب فيه أن نبوغ الشاعر وعظمته يكمنان فيما يتناول من قضايا وأفكار في شكل فني رائع ، وصياغة موسيقية جذابة ، وبمدى التزامه بالمبادئ العظيمة والقيم النبيلة تزداد قيمة فنه في الروعة والجمال (٢٥٨) ، وهل هناك قيم ومبادئ أجل شأناً وأعظم مرتبة مما يتعلق بالإسلام من أفكار وقيم وقضايا ، وقد تتبّعنا كم كان شوقي ملمّاً بالأسس الدينية ، والمبادئ الإسلامية ، وكيف لا يفوته أن يعالج القضايا المعاصرة له ، بنظرة إسلامية مع تجاوب عاطفي واندماج روحي .

◆ المبحث الأول - القيمة الموضوعية :

فمن الناحية الموضوعية تتسع نظرته في شعره الديني فتشمل أركان الإسلام ونظمه السياسية والاجتماعية والخلقية ، ويعرض لكل ذلك بفكر صائب ورأي مستقيم في أغلب الأحوال ، كأي مؤمن يرى

---

(٢٥٨) انظر : نحن والإسلام : لنجيب الكيلاني : ص/١٣٩ .

www.nidaulhind.com

بإخلاص أن الإسلام أفضل منهج للحياة الإنسانية والسعادة البشرية ، ولذلك نلاحظ أنه مع سعة عالم شوقي الشعري ورحابته ، حظي الفكر الإسلامي بأوفر نصيب منه ، في صورة مباشرة لا غموض فيها ، كما لم يخل أغلب شعره منه بطريقة غير مباشرة .

ولنتلمّس فكره الشمولي السديد في هذا البيت الذي جعله بقدرته المدهشة على التعبير المركّز خلاصة لفلسفة الحكم في الإسلام .

الـــدين يسر ، و الخلافـــة بيعـــة
والأمر شوري ، والحقوق قضاء (٢٥٩)

وكذلك في قوله في أصول الحرب للإسلام ، فالحرب في الإسلام ليست سبيل إذلال واستعباد ، وتحقيق أغراض مادية ، بل هي لإحقاق الحق ، و إفساح السبل أمام من يختار العقيدة الإسلامية بحرية الرأي :

الحـــرب فـــي حقّ لديك شريعـــة
و من الســـموم الناقعات دواء (٢٦٠)

◆ المبحث الثاني - القيمة الفنّية :

ومن الناحية الفنية نجد شوقي يرتاد آفاقاً جديدةً من التجديد والابتكار ، فمن أشهر قصائده الدينيـــة وفي مقدمة شعره الإسلامي المباشر : قصيدة : "نهج البردة" وقصيدة : "الهمزيـــة" اللتين عارض فيهما قصيدتي البوصيري في مدح الرسول الكريم ﷺ ، فقد نجح فيهما في إدخال الأفكار الحديثة والعناصر الجديدة التي لم يسبق إليها أحد من قبل ، فقد انفرد في ذكر خصائص الإسلام بغير قليل من

(٢٥٩-٢٦٠) الشوقيات : ج/١ ، ص/٣٧ .

www.nidaulhind.com

الدقة والتفصيل ، مستخدماً أساليب الدراسة ، والحوار البنـاء ، والأدلة المنطقية التي سادت في عصره آنذاك (٣٦١) ، وبيّن كيف يدور جوهر الإسلام حول التوحيد ، وما هي نظمه السياسية والاجتماعية ، صادراً عن نظرته الشمولية تجاه هذه القضايا :

بُنيتْ على التوحيد و هي حقيقة
نادى بها سقراط و القدماء (٣٦٢)
و الناس تحت لوائها أكفاء
و البرّ عندك ذمّة و فريضة
لا منّة ممنونة وجَبَاء
جاءتْ فوحّدت الزكاة سبيله
حتى التقى الكرماءُ و البخلاء (٣٦٣)

وقد هزّت قصيدته : "نهج البردة" العالم الإسلامي وخفق لها قلبه ، ولعل من أروع ما في هذه القصيدة التي جعلت شيخ الأزهر (الشيخ سليم البشري) مفتوناً بها وتوفر على شرحها ، تلك الأبيات الرائعة التي تدحض شبهات المستشرقين الذين طالما يردّدون أن الإسلام انتشر بالسيف (٣٦٤) :

قالوا غزوتَ و رسل الله ما بُعِثوا
لقتل نفس و لا جاؤوا لسفك دم

---

(٣٦١) انظر : الدين والأخلاق في شعر شوقي : ص/١٢٩ وما بعدها ، وشوقي شاعر العصر الحديث : ص/١٢٦-١٢٧ ، شوقي : شعره الإسلامي : ص/١١٠-١١١-١١٢ ، نحن والإسلام : ص/١٤٠ .

(٣٦٢) بنيت : الملة الحنيفية البيضاء . (٣٦٣) الشوقيات : ج/١ ، ص/٣٩ .

(٣٦٤) انظر : شوقي : شاعر العصر الحديث : ص/١٢٧ .

www.nidaulhind.com

جهلٌ و تضليــلُ أحلام و سفسطة
فُتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم (٢٦٥)

ولعله ليس بخافٍ ما يجري في هـذه الأبيـات مـن روح الإيمان القوي ، والعاطفـة الصادقـة ، وقـوة التعبيـرِ والعـرض ، وفي قصـائده الإسـلامية آيات أخـرى علـى هـذا التفـرّد ، ومـن أنصعـهـا : "إلى عرفات" و "خلافة الإسلام" و "ضجّ الحجيج" ، وتعدّ الأخيـرة مـن أقوى قصائد شوقي ، وأشدها حماسة وإثـارة ، ولا يصـانع ولا يتلطّـف حتى في خطاب الخليفة ، اقرأ هذه الأبيات :

الحج ركـــن مــن الإسلام نُكـــبره
و اليوم يوشك هـــذا الركن ينهـدم
عـــزّ السبيلُ إلـــى طه و تربتـــه
فمـــن أراد سبيلاً فـالطــــــريق دم
قـــد سال بالدم من ذبـــح و من بَشَر
واحمرّ فيـــه الحمـــى و الأشهر الحرم
خليفـــة الله شكوى المسلمين رقَتْ
لسُدّة الله هل ترقى لك الكلم (٢٦٦)

ونلاحظ أنه من تجديد شوقي وابتكاراتـه ، اسـتيحائه الديـن ومعانيه في صوره الشعرية من الاستعارات والكنايات والتشـبيهات ؛ إذ تترابط الصور ، وتتآلف ، وترسم مشهداً عاماً مثيراً ، ومن أروعـها قوله في بكاء الخلافة ، فكان يتوسّـم في انتصـار مصطفى كمـال عـزّاً للخلافة والإسلام ، فلمّا ألغاها نجده يجسّد صورة الفجيعـة في الخلافـة

(٢٦٥) الشوقيات : ج/١ ، ص/٢٠٧ .

(٢٦٦) الشوقيات : ج/١ ، ص/٢١٢ .

www.nidaulhind.com

وما جرّ إلغاؤها من ضرر بالمسلمين بتصوير المآذن قد ضجّتْ ، والمنابر قد ارتجّت ، والجمع قد احتشدت في مآتم تندب الخلافة ، وبهذه الصور الدينية رسم شوقي صورة مكتملة للفجيعة ، تبعث في النفس الأسى والحزن والحسرة :

ضجّتْ عليك مآذنٌ و منابرٌ
و بكتْ عليك ممالكٌ و نواح
و أتت لك الجُمَع الجلائل مأتما
فقعدن فيه مقاعد الأنواح (٢٦٧)

وربّما تلقاه يعتني بهذه الصور في قصائده التي تتعلق بالكفاح الوطني ، فقد صوّر جهاد الشباب في تحرير الوطن بجهاد المسلمين في غزوة بدر :

يا نَشأُ الحيّ ، شبابَ الحمى
سُلالة المشرق من نُجْبه
يومٌ لكم يبقى كبدر على
أنصار سعد و على صحبه (٢٦٨)

ذو لننظر في هذه الصور وأشباهها إلى قوة الإيمان وحرارة العاطفة وقوة التعبير ونصاعة الأسلوب ، مما تشهد بعبقرية شوقي وتفوّقه في الجانب الإسلامي من شعره ، كما أن هذه الصور دليل قوي على أن الدين كان يشغل قلبه وعقله فلا يفتأ يستمدّ منه الفكر والصور ؛ لأن الإنسان لا يلهج إلا بما يسيطر على عقله وجوارحه .

ومن الجديد في شعر شوقي الإسلامي أنه لم يقف من الطبيعة

(٢٦٧) الشوقيات : ج/٧ ، ص/١٠٦ .

(٢٦٨) الشوقيات : ج/٧ ، ص/٧٥ .

www.nidaulhind.com

كما كان الاتجاه الشعري في عصره ، بل تجاوز هـذا الحـدّ ، ورأى فيـها آيات باهرة على وحدانية الله وقدرته المعجزة .

تلك الطبيعـــة قِفْ بنـــا يا ساري
حتى أريك بديعَ صنع الباري (٣٦٩)

وهناك ابتكارات واسـعة يضيق المقـام عـن سـردها ، فاتّجه شوقي بالشعر الإسلامي إلى الاتجاه التاريخي ، نابعاً من ثقافتـه الملمّة بالـتراث العربي والإسـلامي لبـثّ أفكـاره الإسـلامية واسـتخراج العظات والدروس التي تهيب بجموع المسلمين لكي يحطموا أغلالهـم مـن الخمـول والاسـتكانة ، ويخوضـوا معاركـهم مـع الاسـتعمار والاستغلال في ضوء التعاليم الإسلامية الرائـدة ، وأكـبر دليـل علـى ذلك أرجوزتـه الشـعرية "دول العـرب وعظمـاء الإسـلام" ، ولـو لم يضق المقام لطال الكلام ، فالحديث ممتع ومشوق .

ولنختم حديثنـا على آيـات الإيمـان المفعـم بـالحب والحنان والإشراق الروحي الشفساف في أسلوب معبّر :

محمـــد صفــوةُ الباري ورحمتُــه
وبغيةُ الله من خَلْق ومن نَسَم (٣٧٠)

وقوله مناجاة الله:

و أنت ولـيّ العفــو فامْح بنـــاصع
من الصفح ما سوّدتُ من صفحاتي (٣٧١)

◆ خاتمة البحث :

يمكن لنا أن نوجز أهم النتائج التي توصلنا إليـها في دراسـتنا

---

(٣٦٩) الشوقيات : ج/١ ، ص/٣٧ .
(٣٧٠) الشوقيات : ج/١ ، ص/١٩٥ .
(٣٧١) الشوقيات : ج/١ ، ص/١٠٠

www.nidaulhind.com

الإسلاميات في شعر شوقي في النقاط التالية :

١- تأثر شوقي تأثراً كبيراً بحركة الجامعة الإسلامية من حركات عصره السياسية والاجتماعية والتي كانت تهدف إلى توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم في ظل الخلافة ، لدعم قوتهم في مواجهة الأخطار المحدقة بهم ، فوجدها شوقي هوىً في نفسه ، وظل يدعو إليها وينطق بها في شعره حتى بعد أن خفت صوتها بظهور النزعات الشعوبية الحادة بعد الحرب العالمية الأولى .

٢- وهو يرى أن الإسلام منهج كامل للحياة ، فشعره الإسلامي النابع من الفكر السليم بصفة عامة ، يشمل جميع جوانب الحياة سواء كان عقدياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو خلقياً ، كما يلم بقضايا المجتمع بنظرة إسلامية شاملة واسعة المدى ، وينقد على معضلاته التي تخالف الإسلام وإن لم تخل عن بعض الهفوات ، ويدعو إلى التحلي بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة والتخلي عن الرذائل وسفساف الأمور ، وهدفه الأساسي من شعره الإسلامي استنهاض المسلمين ، من سباتهم العميق ، وإخراجهم عن حياة الذل والخمول والبطالة ، إلى العمل والجهاد ؛ للتخلص من الضعف السياسي والاستعباد النفسي والفقر الفكري والمعنوي ، فيؤيد الجامعة الإسلامية ويدافع عن الخلافة ويتحدث عن عظمه الإسلام للتأسي بهم والجد الداثر للاتعاظ به ، ويصرح بأنه ليس معنى القضه والقدر التواكل ، فعلى المسلمين جميعاً الأخذ بأسباب القوة وأن يموتوا كرماء .

٣- شوقي شاعر معتد بإيمانه ، معتز بدينه ، وقد تخصص أكثر ديوانه في الفكر الإسلامي بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ولكنه في بعض أبياته يبدو كصاحب خمر ولهو ، فما سرّ هذا التناقض ؟ إنما

www.nidaulhind.com

مرجع ذلك طابع عصره الذي كان يتسم بالتناقض والتردد في جوانب الحياة كلها ، نتيجة الصراع بين الحضارة الأوربية الداعية إلى التمتع بملاذ الحياة بملء الكفين ، والحضارة الشرقية الإسلامية المتسمة بالإتزان والاعتدال والتوسط ، في ذلك الوقت .

٤- يتميز شعر شوقي الإسلامي بميزات وإبداعات قلّ مثالها ، فيستقصي خصائص الإسلام في قصائده الدينية ، ويعرض لأركانه الأساسية ، ويبيّن جوانبه المختلفة الشاملة ، ويدحض الشبهات المثارة حوله ، كما يستلهم صوره الشعرية من المعاني الإسلامية ، ولو لم تكن الموضوعات متعلقة بالدين مباشرة .

٥- تبيّن لنا من خلال البحث أن شوقي تتفق وتتوارد أفكاره في الموضوعات الإسلامية إلى حد كبير مع الرسالة الشعرية لشاعر الإسلام الهندي العلامة محمد إقبال الذي كان يتميز بأن سخّر عبقريته في القول ، ورسوخ قدمه في الفكر الإسلامي ، وإحاطته الشاملة بتاريخ الإسلام المشرق ، وحبه المتغلغل في شغاف قلبه لدينه الخالد ، وإيمانه الراسخ بنبوة محمد ﷺ الباقية إلى يوم القيامة ، وصلاحيتها للأجيال البشرية كلها على مرّ العصور والدهور ، وإعجابه البالغ بسيرة رسوله ﷺ الفذة الفريدة في الكمالات الإنسانية والإنجازات النادرة ، فإنه سخّر كل ذلك في الدعوة إلى الطموح ، وسمو النفس ، وبعد النظر ، والحرص على سيادة الإسلام ، وتسخير هذا الكون لصالحه ، فكان بحق وعدل شاعراً إسلامياً له عقيدة ودعوة ورسالة ، وأعظم ثائر على الحضارة الغربية المادية ، ومن أكبر المحاربين للوطنية والقومية الضيقتين ، وأعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية والجامعة الإسلامية والمجد القديم .

أما شوقي فمهما علا نجمه وعظم شأنه في الشعر الإسلامي

www.nidaulhind.com

كماً وكيفاً، لا يبلـغ مبلـغ أن يلقـب بشـاعر الإسـلام ؛ إذ كـثر لديـه الشعر الإسلامي وأجاد فيه فناً وفكراً وتعبيراً، ولكنه لم يجعله رسـالة له مثلما فعل إقبال، حيث أخضع إقبال موهبته الشعرية لنشر المبادئ الإسلامية والقديم الخلقية ومحاربة الجاهلية، وصد الردة الفكرية ؛ ثمّ كان إقبال يحتل مكاناً مرموقاً شـامخاً في عمـق الفكـر، وبعـد النظـر، وصلابة الرأي، وسلامة العقيدة، وغزارة العلم، وصـدق التجربـة، ولذلك عندما نجد شعر شوقي الإسلامي متناغماً ومنسجماً مع تفكـير إقبال وعاطفته ومشاعره فإنه يعتبر - بلا ريـب - نجاحـاً لا مثيـل لـه، ودليلاً على صدق التعبير وحسن النيـة ؛ لأن مصـدر إلهامـهما واحـد وهو القوة الإيمانية، بالإضافة إلى ما عاشا فترة تاريخيـة واحـدة، وحـزّ في نفوسهما تلك الخطوب الجسام والمؤامرات الكبرى التي اسـتهدفت الأمة الإسلامية، فعبرا في شعرهما عن إحساس واحد .

وأخيراً يحسن بنا أن نقول : إن النواحـي الإسـلامية في شـعر شوقي أجدر بعناية الدارسين المهتمين بالدراسات الإسلامية وخاصـة في الوقـت الحـاضر الـذي تبـذل فيـه الجـهود المشـكورة تجـاه الأدب الإسلامي تقعيداً ورسماً للقوانين النقدية، وإبداعاً للنمـاذج الشـعرية والنثرية .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

***

ثبت المراجع والمصادر

◆ أولاً - القرآن الكريم .

◆ ثانياً - كتاب التفسير :

١ - في ظلال القرآن - لسيد قطب (دار الشروق، القاهرة، ط/١٠، ١٩٨١م) .

www.nidaulhind.com

◆ ثالثاً - كتب الحديث والشروح :

١ - البخاري مع الفتح (دار أبي حيان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٢ - مسلم بشرح النووي (دار أبي حيان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

٣ - رياض الصالحين - للندوي، تحقيق ناصرين الألباني (المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط/٣، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

◆ رابعاً - كتب الأدب والشعر وتاريخهما :

١ - الإسلامية والمذاهب الأدبية - الدكتور نجيب الكيلاني (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٩١٨م).

٢ - شوقي شعره الإسلامي - د.ماهر حسن فهمي (دار المعارف - مصر، ط/٢).

٣ - الأدب في خدمة الحياة والعقيلة - عبد الله العويشق (كلية اللغة، الرياض، ط/١، ١٩٧٠م).

٤ - الأدب المقارن - د.محمد غنيمي هلال (دار النهضة - مصر، ط.٣).

٥ - الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام - لعبد المنعم خفاجي (دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط/٣، ١٩٧٣م).

٦ - الأدب العربي وتاريخه - لمحمد الجنيلي (مطابع الرياض ١٣٧٦هـ).

٧ - تاريخ الأدب العربي - لعمر فروخ (دار العلم للملايين، بيروت، ط/٣، ١٩٧٨م).

٨ - مقدمة ابن خلدون (المطبعة الخيرية، القاهرة، ط/١).

٩ - تاريخ آداب اللغة العربية - لجرجي زيدان (دار مكتبة الحياة، بيروت، ط/٣، ١٩٧٨م).

١٠ - العصر الإسلامي - لشوقي ضيف (دار المعارف، مصر).

١١ - العمدة - لابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (دار الجبل،

www.nidaulhind.com

بيروت) .
١٢- الأغاني - للأصفهاني (طبعة دار الكتب المصرية) .
١٣- ديوان حسان (دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ١٩٧٨م) .
١٤- دور الشعر في المعركة الدعوية الإسلامية - لعبد الرحمن خليل (الشركة الوطنية للتوزيع ، الجزائر ، ط/٢ ، ١٩٧١م) .
١٥- الحوار الأدبي حول الشعر - د.محمد أبو الأنوار (مكتبة الشباب) .
١٦- الثورة العربية - لعبد الرحمن الرافعي (مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ط/٣ ، ١٩٦٦م) .
١٧- وطنية شوقي - للدكتور أحمد الحوفي (دار النهضة ، مصر ، ط/٣) .
١٨- الأدب المعاصر في مصر - شوقي ضيف (دار المعارف ، مصر ، ط/٦) .
١٩- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - للدكتور محمد محمد حسين (دار النهضة ، بيروت ، ط/٣ ، ١٩٧٢م) .
٢٠- شعراء مصر وأبياتهم في الجيل الماضي - للعقاد (كلية النهضة المصرية ، ط/٣ ، ١٩٦٥م) .
٢١- ثورة ١٩١٩م - لعبد الرحمن الرافعي (دار الشعب ، القاهرة) .
٢٢- زعماء الإصلاح في العصر الحديث - أحمد أمين (دار الكتب العربي بيروت).
٢٣- في الأدب الحديث - عمر الدسوقي (مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ط/٧) .
٢٤- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - للشيخ الندوي (دار القلم ، الكويت ، ط/١١ ١٩٨٠م) .
٢٥- فيض الخاطر - لأحمد أمين (مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٤م) .
٢٦- النظرات - للمنفلوطي (دار الثقافة ، بيروت - لبنان) .
٢٧- أحمد شوقي أمير الشعراء - فوزي عطوي (دار صعب ، بيروت ، ط/٣ ،

www.nidaulhind.com

١٩٧٨م) .
٢٨- شوقي شاعر العصر الحديث - للدكتور شوقي ضيف (دار المعارف مصر) .
٢٩- حافظ وشوقي   طه حسين (مكتبة الخانجي مصر ١٩٣٣م) .
٣٠- من أدبنا المعاصر - للدكتور مصطفى يونس (مطبعة الفجر الجديد) .
٣١- دراسات أدبية - لعمر الدسوقي (دار نهضة ، مصر ، ط/٢) .
٣٢- الشوقيات - لأحمد شوقي (دار الكتاب العربي ، بيروت) .
٣٣- الاتجاه الروحي في شعر شوقي - د.أحمد الحوفي (معهد البحوث والدراسات العربية) .
٣٤- الدين والأخلاق في شعر شوقي - علي النجدي ناصف (مكتبة نهضة مصر ، ط/٢ ، ١٩٦٤م) .
٣٥- روائع إقبال - للشيخ أبي الحسن الندوي (المجمع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء - الهند ، ط/٤ ، ١٩٨١م) .
٣٦- نحن ... والإسلام - نجيب الكيلاني (مؤسسة الرسالة ، ط/٢ ، ١٩٨١م) .
٣٧- تاريخ الشعر العربي الحديث_أحمد قبش (مكتب دمشق للتوزيع) .
٣٨- تاريخ آداب اللغة العربية - لجرجي زيدان .
٣٩- قصة الآداب في العالم - أحمد أمين وزكي نجيب محفوظ (مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨م) .

◆ خامساً - كتب أخرى ومجلات :

١ - السيرة النبوية - لابن هشام ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد (دار الجبل ، بيروت ، ط/١ ، ١٤١١هـ-١٩٩١م)
٢ - مجلة الجامعة الإسلامية - مقال محمد قطب ، العدد/٤٩ ، سنة ١٤٠١هـ .

****